

ايليا حليم حنا

المازني الاديب الفنان الساخر

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

وافق يوم ١٠ اغسطس ذكرى وفاة الاديب الخالد ابراهيم عبد القادر المازني ولا ينسى محبو المازني وادبه الرائع ان يذكروه ويتناولوا ادبه والجوانب المشرقة من حياته في يوم ذكرى وفاته ، ولاديبنا العبقري الخالد المازني عشاق كثيرون في جميع انحاء العالم العربي وهؤلاء يستمتعون بأدبه ويرون فيه واحتهم التي يستريحون فيها كلما اعياهم واجهدهم السير في صحاري الحياة القفرة والذي يقرأ للمازني يدمن القراءة له ويبحث عن كل كلمة كتبها .. ان في ادب المازني حلاوة ومتعة لانه تعبير انساني صادق .. فيه احساسات الانسان وعمق التجارب البشرية ، فيه صراحة وبساطة .. وكان يسجل هذا بدقة منقطعة النظير بلغة صافية واسلوب املس كالمرآة .

اننا عندما نقرأ للمازني قصة او موضوعا نقرأ له تجاربه ، نقرأ صورا حية نابضة بتجاربه هذه واحاسيسه وذكرياته وخلجات نفسه واحلام نومه ويقظته واخلاقه وطباعه وثقافة فلسفته وآراءه وفكاهاته والذعاته واسلوبه السهل الجزل الاخاذ وخفة روحه وصراحته وانسانيته العميقة .. ان كل ما كتبه المازني ثقافة ممتعة دسمة سهلة الهضم مستساغة للجميع فيها متعة وفيها سلوى وفيها غذاء لذيذ مفيد للنفس والعقل .. كان الرجل يقدم لنا نفسه عارية ويصل بنا الى اعمق اعماق الانسان فنحس ونحن نقرأ له انه يكتب عنا ، قال في ذلك :

« اعتقد ان كل انسان صورة من غيره فمن عرف نفسه فقد عرف الناس جميعا .. وقد صار هذا نهجي في الوصول الى المعرفة ... واذا كانت سبيلي تنأى بي عن الناس فانهم معي وفي قلبي » .

وكان المازني صريحا يحدثك عن نفسه حديث الانسان المجرد من الزهو والتصنع ، واعترافاته في ادبه لم يسبقه الى مثلها اديب عربي آخر ، ولذا فان الترجمة للمازني لا تحتاج الى عناء البحث فانه لم يترك شيئا في حياته لم يكتبه لنا بصراحة تامة ولقد صدق حين قال : « كل انسان سيرى قلبي حتى من فوق الثياب » اسمعه يحدثنا عن حياته ونشأته : « تركنا أبي ذوي مال فاكله اخي الاكبر .. اعني انه انفقه باليمين وبالشمال حتى اتى عليه ـ فلولا لطف الله لتسولنا ، او على الاقل لما امكن ان نتعلم ولكان المازني الآن على الارجح ـ نجارا غير صادق او شيئا من هذا القبيل .. » ويقول عن أبيه : « مات أبي وأمي في الثلاثين من عمرها ، واذاقها في حياته ما سود الدنيا في عينيها وانساها انها امرأة كالنساء وكان أبي ـ رحمه الله ـ مزواجا ، وكان حبه للتركيات وافتتانه بهن عجيبين .. وكان يذهب كل بضعة اعوام الى الاستانة فيبقى فيها ما شاء الله ان يبقى ثم يعود بزوجة من هناك يعايشها سنوات ثم يملها ويشتهي غيرها فيسرحها باحسان ويجيء بغيرها وهكذا . »

ومات والده ... وأصبح اديبنا رجل البيت وسيده وهو في العاشرة من عمره ويقول في ذلك « قطعت الطفولة كلها وثبا .. واصبحت مسؤولا ـ عن اخي الصغير وعن أمي وجدتي لابي .. كل هؤلاء مسؤولون مني ـ انا الذي لا يزال يتعلم الجمع والطرح والضرب .. وكلمات من الانجليزية لا يحسن ان ينطقها ! مسؤول عن هؤلاء وبي حاجة الى من يتعهدني ، ويبرني ويسرني ويهذبني ويؤدبني .. وكان هذا اول استاذ لي ـ اعني الفقر ـ .. أي نعم استاذي الاول الفقر ـ هو الذي اتاني القوة والقدرة على الكفاح ... »

واستطاعت والدته ان تأخذ بيديه فتمكن من ان يكمل تعليمه ، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا ويحدثنا عن تلك المرحلة من حياته فيقول : « كنت قبل ان ادخل مدرسة المعلمين اشتهى ان اكون طبيبا لان الطبيب ليس كمثله احد ، يقتل الناس ويأخذ كراء يده ـ ولكن الدكتور كيتنج ـ ناظر مدرسة الطب في ذلك الوقت ـ طردني ورمى اوراقي وقذف بي وراءها لان نتن جثة احدث لي اغماء .. فخرجت بقلب كسير ، وقلت ان فاتني الطب فلن تفوتني المحاماة .. ومضيت الى مدرسة الحقوق وانقلبت الى بيتي اسطر موعد الدخول واذا بالوزارة تزيد اجور التعليم في هذه المدرسة من خمسة عشر جنيها في العام الى ثلاثين .. واسرعت الى المدرسة فاستعدت اوراقي فما كان ذاك يدخل في مقدوري .. ثم فتحت مدرسة المعلمين العليا فدخلتها.. ومضت الايام ـ اعني الاعوام وصرت معلما وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك ، ولكن لم افرح بها لان ذلك كان بكرهي .. وعينتني الوزارة مدرسا للترجمة بالمدرسة السعيدية الثانوية ، وقد ظللت اتحين الفرص للنجاة بنفسي فلم تسنح منها واحدة الا بعد عشر سنوات .. »

وهجر التدريس الى الصحافة والادب ، وبدأ شاعرا ، ثم انتقل من الشعر والنقد الى كتابة الرواية والقصة القصيرة والتراجم والمقال ... وترك لنا اكثر من ثلاثين مؤلفا نحس فيها بنبضات الحياة ودفئها وصدقها . ان من يقرأ للمازني لا يسلوه ابدا لان ادبه تجربة معاشة وليست عطاء خيال او تصور ... قصصه صور حية عاشت في قلبه وخرجت الى الحياة لا تعرف قيدا الا صدق التعبير وصدق الفن .. اقرأ له « ابراهيم الكاتب » و « صندوق الدنيا » فتجد نفسك منساقا الى قراءة « ابراهيم الثاني » ، « ثلاثة رجال وامرأة » و « عود على بدء » و « ميدو وشركاه » و « على الماشي » و « في الطريق » و ...

وكان المازني من ارشق الكتاب في فن المقال وله في ذلك « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » و « خيوط العنكبوت » و .. وكلها دراسات دسمة بعيدة عن الاملال بما يشيعه فيها من الفكاهة .. وقد تطور فن المقال عند المازني فبعد ان كان في اول حياته يحفل بالدرس وتجويد الاسلوب ترك نفسه اخيرا على سجيتها يفترف من نبع قلبه وفيض احساساته وتجاربه ومشاهداته الدقيقة بأسلوبسهل جزل ادخل فيه كثيرا من الكلمات التي يستعملها العامة والتي حققها وقال انها ليست دارجة وانما هي فصحى ... وكان يعمد الى استعمال اساليب الحياة اليومية لانه كان يحس انها اكثر مواتاة واصدق تعبيرا وانفذ

اثرا في قلوب وعقول قرائه .

كان المازني فنانا اصيلا ، واديبا مطبوعا ، يلقي اليك ما يخطر له في عبارة حرة قوية ، فتبصر او تحس المعنى عاريا سافرا لا يطويه شيء ولا يحجب حسنه او قوته عن عقلك وقلبك حجاب من التكلف .. كان يكره التقليد ويكره ان يكون نسخة من شخص آخر ، قال في ذلك : « انه اشرف ان يكون الواحد هو اصل نفسه ، وان يكون آدم ثانيا يخرج منه جنس انساني جديد » .

وطريقة المازني في الكتابة تكشف عن انه كان فنانا اصيلا . كان نتاجه ومضات فكرية تمتزج بخفقات قلبه وفورة وجدانه . اسمعه يصف لنا كيف كان يكتب « كثيرا ما اشعر اني مدفوع الى الكتابة واني لا املك التحول عنها او ارجاءها ، واني سأشقى واسقم اذا لم اذعن لهذا الدافع الغامض ، فأجلس الى المكتب وليس في رأسي سوى الاساس العام الثقيل بالحركة ، وبأنها توشك ان تتمخض عن خاطر معين او خالجة بينة ويكون القلم في يدي في تلك اللحظة فأخطط به على الورقة وانا حائر ذاهل ، لا احس ما حوالي ، بل لا قدرة لي على الاحساس العام الثقيل بالحركة ، وبانها توشك ان تتمخض عن خاطر وخرجت بها من ضباب الحيرة والذهول والسهو بجهد واضح ، ثم تخطر لي عبارة فاخطها وانا لا ادري الى اين تفضي بي ، ويغلب ان يطول ترددي في البداية ثم يمضي القلم بعد ذلك بلا توقف ويستفرقني الموضوع وتستولي روحه علي فلا يبقى لي بال الى شيء ، حتى اذا انتهى الامر ونضب المعين القيت القلم والورقات ورحت اتثاءب واتمطى كأنما كنت نائما ، ويكون هذا آخر عهدي بما كتبت في يومي » .

ويصف لنا حالة اخرى من الحالات التي تنتابه فيها الكتابة فيقول : « وكثيرا ما يدفعني الى الكتابة احساس غامض الا انه من القوة بحيث لا يسعني مغالبته فأتناول القلم ، وانا كالمسحور وكأن القلم هو الذي يثب الى يدي كما ينجذب الحديد الى المغناطيس وأسرع في الكتابة وامضي فيها الى غايتها المقدورة ، شأني في ذلك شأن الذي يسير وهو نائم ، ينهض من فراشه ويخطو ويذهب هنا وها هنا ، ويتكلم او يباشر بعض الاعمال ولكن وعيه ليس تاما ، ارادته لا دخل لها في شيء مما يصدر عنه » .

وكما كان المازني كاتبا ممتازا كان ايضا قارئا ممتازا .. ويحدثنا عن ذلك بأسلوبه الظريف فيقول : « وما اظن بي الا ان الله ، جلت قدرته ، قد خلقني على طراز عربات الرش ! التي تتخذها مصلحة التنظيم – خزان ضخم يمتلىء ليفرغ ويفرغ ليمتلىء ! وكذلك انا فيما ارى : احس الفراغ في رأسي ، فأسرع الى الكتب التهم ما فيها ... حتى اذا شعرت بالكظة ، وضايقني الامتلاء ، رفعت يدي عن الوان هذا الغذاء وقمت عنه متثاقلا متثائبا مشفقا من التخمة ، فلا ينجيني الا ان افتح الثقوب واسح ؟! وهكذا دواليك ! »

تقدم اليه اديب ناشىء ذات مرة يسأله كيف اتعلم الكتابة ؟ فقال له : لا تسلني كيف تتعلم الكتابة ولكن سلني كيف تتعلم القراءة فاعلمك .. وساله بعض الادباء : « لم انت كثير الكتابة ؟ » فرد بقوله : « لاني كثير القراءة وافهم ما اقرأ » . ولكنه يرى ان القراءة وحدها لا تغني عن التجريب الشخصي .

كان المازني فنانا ساخرا ، وقد فسر لنا العقاد صديقه ورفيق حياته فلسفة المازني الساخرة فقال « .. كان امتلاء نفسه شعورا بالواقع .. هو سر هذا الضيق بالجد المتصل في حالة بعد حالة ، واحساس بعد احساس ، وكانت نظرته المثالية الى غير الواقع المتكرر هي التي جعلته يعطي ما لله لله وما لقيصر لقيصر كما قال السيد المسيح ، او هي التي جعلته يعطي للواقع ما للواقع وللمثل الاعلى ما للمثل الاعلى دون ان يمزج بينهما في كل حادث وكل يوم ، فاذا جاء دور المقارنة بين الواقع الانساني وبين الكمال المنشود فهناك تفتح الابواب للسخرية بجميع مصاريعها ولكنها سخرية عاطفة كسخرية الاب الذي هو اعطف الناس على وليده واوسعهم رجاء له في الكمال .. »

ويعلل المازني ميله الى الدعابة بقوله : « لو وسعني ان أملأ الدنيا سرورا واغتباطا لفعلت فاني عظيم الرثاء للخلق واحسب ان هذا تعليل ميلي للفكاهة ، فاني اتسلى بها وانشد ان ادخل السرور على قلوب الناس ... وما دام في الوسع ان نعرض عليهم الناحية المشرقة الضاحكة فلماذا نغمهم ونحزنهم ؟! »

كان المازني خبيرا بمواطن الضعف في طبيعة البشر وكان عطوفا كريما في محاسبتهم على عيوبهم يلتمس لهم العذر . قال عنه الاستاذ حفني محمود – وقد كان رئيس تحرير السياسة عام ١٩٣٢ وكان المازني محررا بها – « المازني معروف عند الناس بانه رجل قلم وصاحب فكر والحقيقة انه صاحب مبدأ وصاحب خلق قبل ان يكون صاحب قلم ... عندما كنت رئيس تحرير السياسة كان يعمل هو في السياسة وكان بعض المحررين الحديثي السن يحملون له بعض الحسد والغيرة – كالعادة – حتى ان بعضهم خرج يوما عن واجب اللياقة والادب معه ، فبلغني ذلك فاستفسرت من الاستاذ المازني عما حدث فأجاب (لم يحدث شيء مطلقا ، وكل ما بلغك غير صحيح) فقلت انني متأكد يا استاذ ، وهذه فوضى تساعد انت عليها ، فقال على الفور (وانا متأكد ان كل ما ذكرته لم يحدث) ... فتركت الامر وقتا من الزمن وذات مساء سألته عن حقيقة المسألة فأجاب (طموح – فمن ذا الذي يصبح ضحية هذا الطموح ان لم نكن نحن معشر الكتاب الذين اشتهروا بالحق او بالباطل ؟ اتريد ان تحارب الطبيعة بأن تقف امام هذا الشباب وطموحه ؟ انها اسماؤنا تظهر صباح مساء في الصحف ولا يذكر عنهم حرف ، انني اؤكد لك ان بينهم من هو احق منا بهذه الشهرة ولكن الظروف شاءت ان تحول بينهم وبينها بالحق او الباطل . الا تريد ان تسمح لهم حتى بأنين الشكوى ؟ اننا اذن لظالمون ..) ويعقب حفني محمود على هذا بقوله ، وهكذا سمعت منه في هذا اليوم درسا في التضحية وانكار الذات لن انساه ابدا » .

كان المازني صاحب مبدأ وكان يعتنق ما يكتبه وما ذكره حفني محمود يبين لنا ان المازني كان صادقا مع نفسه عندما قال : « الفقر ، استاذي الاول ... الذي علمني التسامح والترفق والعطف وايثار الحسنى ، وعودني ضبط النفس وتوخي الاتزان وجنبني العنف والقسوة والفظاظة .. وفتح عيني على القيم الحقيقية للناس والاشياء والحوادث » . « ليس كرحلة الحياة معلم ... كابدت الدنيا وبلوت الناس وصار لي نظر في البواعث والاعمال والمصائر » .

وقد اشتهر المازني بصراحته المحببة وتواضعه الجم ولم يكن يعرف اللف والمداورة والمغالطة .. فعندما دعي ليتكلم في حفل رثاء شاعر النيل حافظ ابراهيم ، وقف ليواجه جمهور المحتفلين باعترافه: « لم اجد طريقا اسلكه الى المجد اسهل من ان اتحدى من هم منا على القمة ، فانتقيت انا وزميلي العقاد حافظا وشوقي .. واخذنا نرجمهما بالحجارة والنقد والتجريح ، حتى لفتنا الانظار الينا ... وتلفت القوم نحونا فعرفنا ... واشتهرنا » .

وحدث ان التقى به الناقد المرحوم انور المعداوي عند الاستاذ توفيق الحكيم في « اخبار اليوم » وهاجمه الاستاذ المعداوي في سياق حديثه قائلا له « ان المازني لم يهتد حتى الآن الى خير ملكاته .. لو عرف المازني ان معدنه القصصي من انفس المعادن لافسح الطريق لملكته القاصة » ورد المازني عليه : « انا ادرى الناس بما يمكن ان تقوله عني ... ستقول ان المازني كان بالامس خيرا منه اليوم ، وانه ترك زمرة الادباء وانضم الى زمرة الصحفيين .. وانه يكتب في كل مكان ، ويكتب في كل شيء حتى أصبح تاجر مقالات يهمه ملاحقة السوق اكثر مما تهمه جودة البضاعة ، أليس كذلك ؟! ولكن لا تنس ان الاديب في (بلدكم) مجبر على ان يسلك هذا الطريق ليسكب عيشه وعيش اولاده وليستطيع ان يحيا حياة كريمة تشعره بأنه انسان .. ترى هل بقي شيء يمكن ان تقوله ؟ » ويعقب الاستاذ المعداوي على هذا بقوله « كان – رحمه الله – انسانا جم الادب في نقاشه ، مهذب العبارة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشرق اللمحة ، لبقا في التخفيف من حدة الجـدل بالبسمة العذبـة والنكتة البارعة » .

كان المازني عظيما في حياته بقدر ما هو عميق في انسانيته ، امتاز بسماحة الطبع والتواضع وتواضعه هو الذي جعله يسمي كتبه « قبض الريح ، خيوط العنكبوت ، حصاد الهشيم ، عالماشي » . وفي ذلـك يقول العقاد : « لم أر احدا يجور على المازني كما يجور المازني عـلى فضله وقدرته ، وقد طاب له منذ سنوات ان يدأب عـلى الاستخفاف بجدواه فأنكر على نفسه الشاعرية ، وانكر عناء ما يكتب وينظم ومـا عسى ان يكتب وينظم وقد تغني اسماء كتبه عن الاستشهاد منها بمـا قاله في تصغير فضله وقدره » .

ويقول لنا المازني في خاتمة كتابه « حصاد الهشيم » : « لا احتاج ان اقول اني لا اكتب للاجيال المقبلة ، ولا اطمع في خلود الذكر ، وهل ترى ستكون هذه الاجيال المقبلة ـ كجيلنا الى هذه البداءة ؟ أليست أحق بأن يكتب لها نفر منها ؟ تالله ما احق الاجيال المقبلة بالمرثية اذا كانت ستشعر بالحاجة الى ما اكتب !! ليتهمها غيري بالعقم اذا شاء !»

وليس ادل على انسانية المازني من هذه القصة التي رواها لنـا قال : « انتقلت الى بيت استأجرته على تخوم الصحراء وكنت في ذلك الوقت اعمل في « جريدة الاخبار » وكانت الاخبار قـد فتحت بـاب اكتتاب لاقامة تمثال « نهضة مصر » للمثال المشهور المرحوم مختار فبلغ ما اكتتب به القراء نحو ستة آلاف من الجنيهات فظـن بعض الحمقى ان هذه الآلاف الستة في بيتي العاري .. فشعرت في منتصف الليـل بجسم يسقط في الفناء الخلفي ، وسمعت اثر ذلك حركة عند بـاب المسكن .. وفتحت شباك الباب فرأيت خلفه رجلا اراد ان يتوارى لما رآني ـ وهذا طبيعي ـ ولكني ألححت عليه ان ينتظر .. فبهت الرجل فقد كانت هذه المقابلة آخر ما ينتظر .. بدأ يعتذر ويطلب الصفـح فقلت له وانا اعالج الباب ـ فان مفتاحه قديم ـ لا بأس .. اذن خـذ المفتاح وافتح من جهتك وتعال اشرب معي سيجارة .. دعوته ان يدخل وسرت امامه الى الحجرة التي فيها كتبي وقدمت لـه كرسيا واشعلت له عود ثقاب فمد فمه الى النار بالسيجارة وهو يتأمل ويتفرس فـي وجهي فقلت له : اسمع يا صاحبي .. اني آسف لاني خيبت املـك فان البيت عار كما ترى ، وقد خدعك الـذي اوهمك خلاف ذلـك . ولكني لا احب ان تخرج من هنا صفر اليدين » وطلب منـه ان ينتقي ما يروقه من الكتب ويذهب بها ويبيعها ، وارتاب اللص ولكن المازنـي كتب ورقة بأنه هو الذي اعطاها له ... واتفق معه على ان يزوره كلما رغب في المساعدة ويقول المازني « لقد صار هذا الرجل بعد ذلك صاحبي وحارسي في آن واحد ولا سيما بعد ان توغلت بمسكني في الصحـراء وبعدت جدا عن العمران » .

لقد قال بعض من تناول حياة المازني وادبه انـه كان متشائما وهاربا من الحياة ... ولكني لست مع هؤلاء ولا ارى رأيهم فيه .. لم يكن المازني متشائما .. واذا كان قد عبر عن بعض الآلام في كتاباته فان هذا لا يدل على تشاؤمه .. فالمازني انسان وكل انسان لا بد ان يقابله ما يؤلمه في حياته ... والمازني فوق هذا أديب وكان لا بـد ان يسجل آلامه التي يحس بها كل انسان .. لقد خبر المازني الحياة واصبـح منطقيا في تفكيره .. سخر من نكبات الحياة وقابلها بابتسامة ساخرة.. وهل عدم الاكتراث والسخرية من أي واقع أليم في الحياة يعد تشاؤمـا وهروبا من الحياة ؟! لم يكن المازني متشائما فان المتشائم ينشر الكآبـة في الوسط البهيج الذي يحل به ، كان المازني دعابة طلية اطلقها الزمن عرفها الاقارب والاصحاب والقراء فضجوا لها بالضحك وصفقوا لهـا واحبوها كل الحب .. كل من قابل المازني واحتك به يمتدح فيه خفة روحه ودعاباته وفكاهاته وكل من قرأ قصصه ومقالاته يحس ان المازنـي كان أشبه بالنبع الصافي المتدفق .. وفي كتابه « صندوق الدنيـا » ما يدل على مرحه واقباله على الحياة ، ولا يعقل ان يكون مـن كتب « صندوق الدنيا » انسانا متشائما منقبضا فانه من فضلة القلب يتكلم اللسان ، والمازني أديب فنان كان يكتب احساساته ويعبر عما يشعـر به ، لم يكن المازني هاربا من الحياة بـل كان يحب الحياة ويتشبث بها . كتب قبل وفاته بما يقرب من العام في ١١ ـ ٩ ـ ١٩٤٨ يقول : « اني اعلم ان الموت حق ولا ألم فيه ولست أخافه ولكني (لا اريد) ان اموت .. وهذا طبيعي فما من احد يشتهي ان يموت » وقال : « لم يفتر عندي حبي للحياة واستهوالي ان اصير يوما لا شيء كأني لـم أكن قط » . وقد عبر عن استبشاعه مـا يؤول اليه جسم الانسان بالموت فوصف هذا وصفا محزنا يدل على مدى محبته للحياة وكرهه أن يؤول الى هذا الفناء قال :

أيصبح هذا الحسن قبحا وجيفـة ... بلى ! ويسد الانف من نتنه المزرى
ويمسي صديدا كل ما كان من قوى ... وماء شباب مستحير ومن سحـر
وللدود ، يقتات الليالي بحسنها ... ويتركها كوما مـن الاعظم النخـر

لم يكن المازني هاربا من الحياة ولم يستسلم لليأس مطلقا .. لقد كانت حياته كفاحا مع النكبات منذ طفولته وعانى اليتم في طفولتـه وتصارع مع الفقر .. وبعد ان ترك التدريس باع كتبه واقتات بثمنها .. وماتت امه التي كانت له كل شيء في حياته ومن بعدها زوجته ثـم اصيب بالعرج و ... ومع كل هذا لم يخر ولم ينظر الى الحياة نظرة يأس وكل ما جعل بعض النقاد يقولون انه كان متشائما هو انه قدم لنا انعكاس هذه النكبات على شعوره . لم يكن المازني متشائما بل كـان فاهما واعيا . اسمعه يقول « طريق الحياة صاعد هابط ، والطبيعـة كيسة ، وفيها رفق وحكمة على كل ما يبدو من قسوتها ، وما بها مـن قسوة ، ولكنا نحن نحب ان ندير امور الكون على هوانا ، ولـو يتيسر ذلك لخربت الدنيا ، لا شك في ذلك » .

ليتنا نعرف الحياة كما عرفها المازني ونتصرف بحكمة بموجب مـا علمته لنا الايام ، ليتنا نقول مع المازني : « انـي اتلقى الحياة كمـا تجيء لما وقر في نفسي من عبث الاهتمام والاحتفال بما لا حيلة لي فيه.. تتساوى عندي كل حالة وكل حالة ، ويتعادل عندي السرور والحزن ، والضحك والبكاء والفوز والخيبة ، فاذا جاء خير فيها ، فلله الحمد ، والا فلا أسى ولا اسف على شيء.. اني احب طريق الحياة ولا اريد ان يفوتني شيء مما على جانبيه ، واذا لم انظر ولم امتع العين بما ألقى واجد فمتى انظر واتمتع ؟ وما دامت الحالات قد تعادلت عندي فلماذا لا ألتمس السرور وانشد النعيـم واتجنب المنغصات والمتعبات ؟... ما اخلقنا بأن نتسلى ونتلهى ونرفه عن انفسنا ونحن سائرون وعـلى كواهلنا اعباء لا يسهل طرحها . ولا بد من السير عـلى كل حال سواء افرحنا ام جزعنا ، وضحكنا ام تجهمنا واكتأبنا .. فالضحك اولـى اذن ، والسرور احق بالنشدان ، ثم ان القدرة على اختلاس السرور من احزان الحياة دليل على ان النفس لا تزال فيها حيويـة كافية ، والحزن ـ اعني الاستسلام له ـ ذوي وذبول ، والتغلب عليه ظفـر وانتصار على ما تهاجمنا به الدنيا من الكـروب ... فاذا كانت لـي نصيحة الى القراء فان نصيحتي ان يتوخـوا ان يضحكوا دائما وان يلتمسوا اسباب السرور ويتجنبوا اسباب التنغيص ، فـان السرور يجدد النفس والتنغيص يخلق ديباجتها ، ويذوي نضرتها وهذه نصيحة رجل سار في طريق الحياة مفتوح العينين ، ولا يزال امله قويـا في ان يطول سيره ، فاسمعوا مني واطيعوا وجربوا واشكروني » هل في هذا ما يدل على الهروب من الحياة والتشاؤم ؟ انها فلسفة القوة والتشبث بالحياة والاستمتاع بها رغم كل ما يعترضها ويتخللها من آلام ونكبات.

وكان المازني سعيدا في حياته الزوجية ويرجع ذلك الى درايته بما يرضي المرأة ويسعدها وهو يعبر عن ذلك في قوله : « انت مع المـرأة ابدا على كف عفريت سكران ، والمعروف ان عقول الرجال في رؤوسهم اما عقل المرأة فقد يكون في حذائها ـ ولكنه ليس على التحقيق فـي رأسها . وضائع ضائع من يجادلها بمنطق الرجال او يكلمها كلام العقل، فما عرفت ذلك يجدي معها ، ولو ان رجلا اثنى على عقل امرأة بكتـاب في ثلاثين جزءا لما بلغ من نفسها ما هو خليق ان يبلغ بكلمة ثناء مفـردة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتان متقابلتان

من علق السفحين ؟ بينهما قفي … يتناجيان بأعمق الالوان
النهر بينهما لسان مطلق … نبراته من قيد كل لسان
لو حين قصهما وسار محدثا … عن صنع اعظم ريشة وبنان
عن صورتين بحائطين تقابلا … ضمنت خلودهما يد الفنان
أغرى حديثهما الربى فتعرضت … للنهر بين معارج ومحاني
ومغاور عرضت له أشباحها … صورا لتلهيه عن الجريان
صور مشوهة عرضن له بها … مأساة فن بائد الاتقان
متهافتات للسقوط وبعضها … متشبث بحفائر الجدران
لم تشغل المأساة خاطره ولم … تعكر صفاء نشيده الرنان
فجرى، وطال عن الجمال حديثه، … ليخلد الالوان بالالحان
وجرى..فرام الشط قطعحديثه … فأنصب في سمع الخضم اغاني

سفحان، مسكنك الجميل بواحد … وانا ازاك مسكني في الثاني
لا ، ليس ما بيني وبينك هوة … اني ملأت فراغها بحناني
كم ضقت للوادي الموسع بيننا … ووددت لو يتقارب السفحان
صور وأحلام لنا منه ، وكم … في العمق منه من عميق معاني
ماذا لو انطبق الكتاب وما الذي … من حبنا يبقى ؟ سوى العنوان

فارس سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جمالها ولو كذبا او نظرة اعجاب واحدة الى حذائها » ..

وكان ابا مربيا واعيا .. له اساليب مبتكرة في معالجة كل مشاكله الاسرية ... اصيب ابنه الكبير بحالة نفسية كئيبة .. فدخل ذات صباح حجرة الابن وقدم اليه ورقة مكتوب فيها عنوان وقال له هذا عنوان مدرس اللغة الفرنسية اذهب لتأخذ درسا على يديه ... وذهب الابن وهناك فوجيء ان المدرس لم يكن الا فتاة جميلة تجيد الفرنسية .. واستطاعت هذه المدرسة الجميلة ان تخرج الابن عن عزلته .. وعندما سأله الابن بعد ذلك لم فعلت هذا ؟ قال : كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لمعالجتك ولقد وثقت من اخلاقها بعد كثير من البحث.

وكان للفوضى نصيب كبير في حياته فلم تكن مكتبته الا مخزنا للكتب وكانت كتبه تملأ البيت مبعثرة على النواقد والكراسي وتحت الاسرة وفي اركان الغرف وكان يثور ان رفع كتاب عن موضعه وكان دائما يكرر هذه العبارة « هكذا تعودت ان ارى مكتبتي ولا احب الا ان أراها هكذا » .

وكان يحلو له ان يجلس على اريكة كبيرة ويضع الاوراق فوق ركبته ويكتب ، وكان يفضل المحبرة والريشة على الكتابة بقلم الحبر.. وكان قبل ذلك يستخدم الآلة الكاتبة الى ان استولى عليها صديق ولم يعدها له .. فاشترى آلة اخرى اتضح انها كانت مسروقة فاعادها الى صاحبها وخسر نقوده .

وكان كثير التنقل في سكناه من حي الى حي ، وكان لهذا اثره في دراسة الكثير من طباع الناس واخلاقهم وتصرفاتهم ... في الاحياء المختلفة ، وقد أفاد بهذا في كتابة قصصه وصوره القلمية ... واخيرا استقر في سكناه في (شارع الجيش) .. وقد ألف كتابه « من النافذة » بجوار نافذة في هذا البيت حيث كان يرقب الغادين والرائحين وكتب كتابه كله عنهم ، ويقول في ذلك « لقد اصبحت ـ لطول مقامي في هذا البيت ـ اعرف كل من يقف او تقف على رصيف الترام (الذي امام المنزل) ... ولقد صار هؤلاء اخوانا لي وهم لا يدرون ... على اني وانا اراعيهم واجعل بالي الى ثيابهم ومبلغ عنايتهم بها ، وما اراه عندهم من ضروبها ، والى حركاتهم ومشياتهم وطريقتهم في الكلام وشمائلهم وسكوتهم او ضجرهم اذا ابطأ عليهم الترام او حال الزحام بينهم وبين ركوبه ، اقول اني وانا اراقبهم من حيث لا يشعرون ، قد ألفت لكل واحد وواحدة منهم قصة » .

هذه لمحة سريعة عن بعض جوانب حياة العبقري الخالد ابراهيم عبد القادر المازني بمناسبة ذكرى وفاته في ١٠ اغسطس .. وللمازني حياة متعددة الجوانب فقد كان عبقريا في اسلوبه الساحر عبقريا في سعة أفقه ، عبقريا في صراحته وبساطته ، عبقريا في انسانيته ... ان للمازني مكانة في الادب العربي لا تقل عن مكانة برناردشو في الادب الانجليزي ومارك توين في الادب الامريكي .

القاهرة … ايليا حليم حنا

يا له من نهار جميل .. هانذا اطل من نافذة حجرتي .. اعني حجرتنا — اختي وانا — اشاهد امامي على مدى واسع بحرا .. لا حدود له .. وسماء تطل على كل شيء يتحدان في لون ازرق يصفو احيانا ويربد احيانا اخرى .

بعض القشدة يتناثر عليهما لكني لا استطيع لمس اعليهما .. تنفست .. وزفرت زفرة عميقة .. لماذا انا سعيدة صباح اليوم ؟ لي رغبة ملحة للاستحمام في البحر .. تركت النافذة ورنوت الى اختي التي تشاركني الحجرة .. وما زالت نائمة .. وعلى محياها طيف ابتسامة لست ادري هل بدأت بها ام انتهت منها .. يا لها من شقية هل احبها ؟ هذا مما لا شك فيه ! .. حقائب السفر ما زالت قابعة في ركن الحجرة .. هززت كتفي ... لقد وصلنا منذ ثلاثة ايام فقط وقالت لي امي : لن تستطيعا الاستحمام قبل ان تتعود اجسامكما على حالة الطقس المشبعة بالرطوبة ..

ترى ماذا يحدث لو ارتديت لباس البحر وغطيته بقميص ابيض وجونلة حمراء .. اني آخذ هذا المنديل الحريري الكبير احجز به شعري الذي سيطيره الهواء .. نعم .. آخذ حمامي بمفردي ؟ لطالما تمنيت ان انفرد بنفسي ولو ساعة .. اني لا احس براحة البال والحبور الا مع نفسي .. ثم تنهدت لا داعي لان اتذكر اشياء تؤلمني سأؤجل هذا لحين عودتي . تركت الغرفة ثم رنوت بحذر الى حجرة نوم امي المغلقة كأنني استأذنها في الخروج ، ولما احتواني الشارع تنفست مرة ثانية كمن يستنشق هواء الحياة كلها . امس مساء .. ضحكنا كثيرا .. لقد روت امي بعض نوادرنا — اختي وانا — ونحن صغار لكن مربيتي قالت لنا مرارا ان من يضحك كثيرا .. لا بد ان .. لا .. غير معقول .. لا مجال الان للحزن والالم .. وانا اليوم سعيدة .. جد سعيدة !

تنقلت بسرعة الفراشة الى الافريز الاخر .. وسرعان ما وجدت نفسي على الشاطىء « البلاج » بل في كابينتنا .. خلعت ملابسي وتهيأت للنزول الى البحر .. ها هي المياه تنحسر عن الشاطىء .. ثم — وبسرعة — تندفع مرة ثانية .. انها تناديني .. ثم انا ايضا متلهفة الى عناقها .. لقد اديت الامتحان .. ونجحت كما نجحت اختي ثم سكت تفكيري فجأة ولكن !

.. لن اتذكر الامس .. انني الان هنا في الدنيا الواسعة ... تطلعت الى قدمي ما تزالان بيضاوين لم



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم هدى جاد

تلونهما شمس الصيف بعد .. انني أغرسهما هنا في هذا الرمل العسجدي المبتل ... ياه .. المياه باردة ! لكني سأدفئهما حالا .. اختفيت بين طيات الموج .. احسن طريقة للتخلص من البرودة هي الغوص مرة واحدة في المياه حتى تتوازن حرارتنا .

افترشت البحر .. انه انعم من فراشي واكثر اتساعا .. كما انه يمكنني من التطلع مليا الى هذه السماء الواسعة المكشوفة ، ها هي الطيور البحرية المصبوغة بلون الفل



تحلق .. تحملق في انا ايضا مثلها فوق .. فوق الامواج ... فوق الدنيا .. لعلها تظللني .. لقد طارت .. تركتني ثانية مع بحري .

والان .. والان سأقوم ببعض الحركات الحديثة التي شاهدت — نجمة سينمائية — تقوم بها وفي استداراتي وانحناءاتي وغوصي لم اشاهد احد المستحمين ، فازدادت سعادتي وراحة بالي ما الذ ان ينفرد الانسان بنفسه ! ولست ادري لماذا تراءت لي صورة امي فجأة ..

لقد ترملت في سن مبكرة .. مات ابي وانا في العام الاول من عمري اما اختي فقد تيتمت ولها من العمر ايام .. امي تردد دائما بان حبها المتزايد لاختي سببه ظروف موت ابينا .. اما انا فقد كنت حبيبة ابي .. هيه .. مالي انا وهذه الذكريات ! مع انني بمفردي ... الان .. الا انهم يلحون في فرض انفسهم معي حتى في البحر .. ولكن ما هذا الصفير ؟ آه انه الغطاس .. ضحكت يا له من احمق ! لماذا يصفر هكذا .. انه يذكرني بضجيجنا في فناء المدرسة في فترات الراحة .. لكن يبدو انه يحتج على توغلي في المياه .. التفت ورائي فاذا به يشير لي ان اقترب من الشاطىء . لقد تعمدت هذا التبكير كي استمتع بأول سباحة لي . واخرها كان منذ عامين .. لا يزال الغطاس العنيد يوالي صفيره الابله .. حسنا ... وليكن جزاؤك انني .. سأتوغل في البحر اكثر واكثر ! وما زال الصفير يلاحقني لكنني احسست به يخفت شيئا فشيئا .. حتى .. لم اعد اسمع .. لعل الغطاس يئس فكف.

وحدا بي الفضول لالتفت ورائي لكني لم اشاهده .. بل لقد حاولت ان اميز — كابينتنا — فتاهت عن ناظري .. اما تنفسي فلم يعد كما كان .. لقد كنت الهث .. لماذا ؟ انني اتميز بنفس طويل وجاشت عواطفي فجأة وكادت الدموع تملأ مآقي فرددت

بصوت مسموع بدا خافتا لكنه اخذ يعلو حتى كاد يطغى على صوت الامواج الشيء الوحيد الذي اجيده هو السباحة .. فماذا حدث ؟ آه . لا بد ان اتراجع .. بدأت الشمس ترسل اشعتها .. لقد طلع النهار .. امي واختي استيقظتا ولا شك ستفتقداني .. لكنني في طريقي اليهما .

هأنذا .. راجعة .. لماذا تلهث انفاسي .. ان لمذاق المياه طعما مالحا مرا يبعث على الغثيان .. لقد امتلأت به خياشيمي وانفي وفمي .

انني اتوه .. في لجة عميقة .. يداي ترتفعان .. لم .. لم اعد احس شيئا ترى كم مضى من الوقت ؟ فتحت عيني نصف فتحة .. لا زلت بلباس البحر لكنني على الشاطيء كما اظن كيف ؟

من هؤلاء الناس ؟ لا يقل عددهم عن عشر اشخاص بينهم وجه امي وشقيقتي .. لكنني لمحت صورا جديدة .. وجه امي مكتئب قلق .. حزين دامع .. واختي ملهوفة حائرة .. وسمعت بعض الهمسات .. ما دامت لا تعرف السباحة . فلماذا تتوغل في لجة المياه ؟ وتسارعت انفاسي ان هناك من يحرك ذراعي وساقي .. آه .. ودفعني الفضول لان التفت فشاهدت وجه الغطاس وسمعته يهمس .. ستفيق بعد دقائق ..لا تخشي شيئا يا سيدتي.

وسمعت صوت امي .. ما زالت في الرابعة عشرة من عمرها .. لم نشعر بها وهي تخرج وتكرر حديث الناس .. ما دامت لا تعرف السباحة فلماذا تتوغل في لجة المياه !

وتراءت امامي صور بعضها حديث وبعضها قديم يتجدد دائما . ان امي تردد .. ابنتي الكبرى سلوى طيبة .. لكن طيبتها وسماحتها وهدوءها .. كل هذا يوصلها الى سلبية غريبة شقيقتها الصغرى تتفوق عليها في كل شيء.. اتصدقون ان الصغرى تحمي الكبرى حتى في حياتهما المدرسية ؟

لست ادري الى متى سيظل الحال هكذا .. لقد وصلت الى مرحلة البلوغ اي انها تستطيع ان تتزوج .. كم كانت هذه الكلمات تحز في نفسي .. امي وغيرها هل يعلمون انني ادرك كل شيء كل شيء !

لست سلبية لكنني لا احب النزاع او العراك فلماذا اجرح شعور غيري ؟ لماذا ؟ ما الذي سأفوز به ؟ عندئذ ؟ لكن اختي دائمة الشجار وهي تفوز دائما بكل ماتبغيه وتقول لي كثيرا : صديقتك او زميلتك هذه التي تجاورك تستولي على كل ادواتك من كتب واقلام ومحابر ، لكن اختي لا تعلم انني



هدى جاد

●

احس بالسعادة وانا اهب زميلتي الكثير من حاجاتي لانها فقيرة ولها ست اخوات غيرها وابوها مريض لا يعمل .

ولكنها ترد – مالنا والناس ؟ كي ترضيها لا تنسي انك ستخسرين ايضا ..

امي تستعين دائما باختي في شراء الحاجيات وتخرج معها للزيارات وتبتسم لي قائلة : ذاكري يا سلوى لانك بليدة وتحتاجين لوقت طويل كي تستوعبي .. ثم ان البائعين يغلبونك دائما في عملية الشراء ..

وهي عندما تراني ارد لها ابتسامتها لا تعلم بان عصا متلاحقة تنتابني واني اصارع كثيرا كي احتجز دموعي .

احب امي وكذلك اختي .وهما ؟ هل تحبانني ؟ فان كانتا كذلك فلماذا تؤلمانني ؟ انني اسأل شقيقتي احيانا لماذا تنتقدينني دائما ؟ ... فتقول لي ببساطة تذهلني – ولماذا لا تنتقدينني انت كذلك ؟ .. ولكنني ارد عليها وانا اجاملها – ليس فيك ما ينقد ...

اقول ذلك كي اسعدها .. فأحب شيء عندي ان المح الابتسامات القلبية على محيا من احب لكنها لا تفهمني وكذلك امي ..

دائما سلوى بطيئة الفهم ... جبانة .. لعبة في ايدي الغير ... حتى .. رسبت ! آه .. لا اريد ان اتذكر كم تمنيت الموت .. عرضت على امي ان تحتجزني في البيت قائلة لها في ذلك والالم يعتصرني – لا استطيع ان اواجه الناس ... ستزاملني شقيقتي التي تصغرني .

وربما شك الناس في كلام امي .. اما رسوبي .. خيبتي .. فشلي فهو تأييد واثبات لكل النعوت التي تنعتني بها امي .. وفي العام التالي عندما نجحت في الامتحان لم اسمع التهنئة بالرغم من انني حصلت على الدرجات النهائية في اكثر المواد .. اما التهاني لاختي فكانت الحلوى والهدايا واخيرا – وهو ما حز في نفسي اكثر – العناق والقبلات من امي .

قالت لي الاخيرة في معرض حديثها – نجاحك لم يدهشني .. هل نسيت انك راسبة من العام الماضي ؟

ان رياضتي المفضلة هي السباحة احبها .. وها أنذا الان .. اكاد استرد عافيتي بعد طول المشوار فرنوت الى امي قائلة – الست

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في رثاء زوجة

●

انســاك ؟ لا واللــه لا انســاك … انسى ؟ ومـلء جوانحي ذكـراك
يا من بهـا زخرت حياتي بهجـة … وتنسمت عطـر الوفاء الذاكـي
فهمتني معنى الوفاء ولـم اكـن … متفهما معنـى الوفـا لـولاك
البيت بعـدك معول لا صوت في … ارجائـه الا عويـل الباكـي
والباب بعـدك مقفل لا زائـر … ياتي ولا ضيف يـؤم حمـاك
حتى الزهور ذوت فـلا ورد ولا … عبق ومـا غرست سواه يـداك

كيف السلـو وفي يقينـي انني … من بعـد هـذا اليوم لن القـاك
قد كنت ان جـار الزمان وأهله … بـك استجـير ولا ارى الاك
قالوا تسل ومـا دروا اني امرؤ … بعد السما بعدي مـن النساك
أسلو ولـم ادرك علاجـا للاسى … يسلو الـذي يمتـاز بـالادراك
قد كنت دنياي التي أحيـا بهـا … دنياي يـا ام الوفـا دنيـاك
أنا مـا دخلت البيت يوما مـرة … الا وجـدد لـي الاسى منعـاك

يا لائمي رحماك فاتـك ان تـرى … نوم الفجيع أسى علـى الاشواك
ومـرارة الذكـرى اذا جربتهـا … ـ لا قدر الباري ـ عذرت الشاكي

يـا كـل آمالي التـي ضيعتها … ـ تحت الثرى ـ طبت وطاب ثراك
أنساك ؟ لا واللـه لا انسـاك … انسى ؟ ومـلء جوانحي ذكـراك

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بغداد — جعفر الخليلي

اجيد السباحة ؟

وعلا صوتها ـ نعم يا حبيبتي ..

وقد ايدها الغطاس قائلا ـ رأيتها تسبح في المياه كالسمكة .. كل ما اعيبه عليها هو انها استنفذت كل قواها .. كي اصل اليها اضطررت لان آخذ قاربي .

هـل يعقـل هـذا ؟؟ الناس يمتدحونني .. لاول مرة .. لاول مرة منذ ولدت .. او هكذا خيـل الي .. ورفعت يدي المتهالكة ...
وقلت لامي وصوتي ـ يخرج متقطعا ـ قولي للناس .. لهؤلاء انني .. ا .. جـ .. يـ .. د السباحة ..
قولي ، قولي .

ثم شاهدت اختي تشيح بوجهها وتبكي .. وعندما احتضنتني امي وسارت معي الى الكابينة استرعى انتباهي على الشاطىء بالقرب منا فتاتان تقاربانني في العمر تحمل كل منهما دلوا صغيرا .. الحيرة تبصم معالمها على وجه احداهما .. والاخرى تطلعها على ما استغلق عليها فهمه .. تقول ـ اخرجت سمكا كثيـرا من الماء .. بل .. لعل عـدده يفـوق عدد ما حصلت انا عليه لكنك نسيت الشيء الاهم ..

ولفتت نظري حيرة الاخرى وهي تسند يدها متسائلة ـ اخبريني من فضلك !

وتبتسم صاحبتها ابتسامة رقيقة ثم تقول ـ الم تدركي بعد ؟ قليل من الماء قليل .. لقد عاشت اسماكي اما انـت ..

وترد الاخرى بلهفة ـ لو وضعت الان بعض المياه فهل ستعيش ؟

وكان رد صاحبتها ـ من يدري ؟ حاولي على اية حال .

ثم افقت من تأملاتي ووجـدت نفسي احدق بعيني في عيني امي .. و .. اتنهد !

القاهرة — هدى جاد



الدكتور محمد رجب البيومي

معركة حول الرجز العربي

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

لم يكن السيد توفيق البكري يتوقع حين نشر كتابه اراجيز العرب انه سيثير عاصفة من النقد تتجه تارة الى الشك في مؤلفه وتارة اخرى الى عقم رسالته الادبية وقلة جدواه الثقافية ، وبخاصة حين احتاط لنفسه فالحق به تقريظين مسهبين لرجلين كبيرين ينثران قلائد المديح نثرا مفرطا للكتاب ، ويعدان المؤلف علامة زمانه وفريد عصره ، اذ طلع على قراء العربية بهذه المختارات الرائعة من الاراجيز مجيدا شرحها وتفسيرها ، واذكر ان الشاعر الكبير اسماعيل صبري قد قرظها بأبيات نونية الحقها المؤلف بالطبعة الاولى ، ولامر ما حذفت من الطبعة الثانية ، مع ان قيمة صبري الادبية لا تقل بحال عن قيمة زميليه اللذان ترك تقريظاهما دون حذف او تعديل .

لم يكن السيد توفيق البكري يتوقع عاصفة نقدية تهب حول كتابه ، وقد اعتاد من كتاب الصحف وحملة الاقلام اذ ذاك ان يخصوه بامامة الادب وزعامة الصناعتين ، وان يذكروا القابه الدينية متبوعة بأمثال نابغة الاعلام ، وخاتمة الفصحاء ، وشيخ البلغاء ، ولكنه تلفت فوجد النقد يصوب الى كتابه ، والشائعات تدور حول مؤلفه . وقد كان في الاغضاء عما يقال دليل على الاستهانة وعدم المبالاة لو اقتصر النقد على محترفي الهجاء من ادعياء الصحافة في ايامه ، ولكنه ينتقل من الصحافة المغرضة الى المجلات الادبية الرصينة ، كالمقتطف شيخ الصحافة العلمية وباقلام جهيرة نابهة من بينها يراعا صروف والمويلحي، ولا حيلة للسيد اذ ذاك الا ان يدفع عن نفسه ، وان يناقش ما يقال .

اما الشائعات التي دارت حول مؤلف الكتاب ، فقد ذاع في الميدان الادبي ان العلامة الشنقيطي الكبير هو صاحب الاراجيز اختيارا وشرحا ، ثم شاءت الظروف ان تحدث فجاة جفوة اليمة بين الاستاذ والتلميذ ، فكانت تأكيدا قويا للشائعات ، اذ فسرت بانها غضبة ناقمة على اختلاس اثر ادبي من صاحبه ، وما اكثر ما تجد امثال هذه الشائعات من المروجين من يحملونها الى كل ناد ، ويشيرون اليها تلميحا او تصريحا فيما يكتبون ، وقد سلك المويلحي مسلك الحزم حين قال في خاتمة نقده للاراجيز بمجلة المقتطف مجلد ١٩ ص ٩٣ .

« ويقول قوم ان كتاب الاراجيز ليس لصاحبه ، والنزاع واقع في امره ، ولكن ليس من شأننا الدخول في هذا الباب ، ولا يهمنا الخلاف فيه فانه لا عبرة لدينا بالاشخاص وكل ما قدمناه مصرف الى الكتاب لا الى الشخص صاحبه كائنا من كان » .

واذا كان المويلحي يرى ان الدخول في هذا الباب ، ليس من شانه ، فاني وقد افردت هذا الكتاب للحديث عن السيد توفيق ، ارى من شأني ان ادخل هذا الباب ، لاجتلي وجه الحق فيما يقال . واذكر بادىء ذي بدء اني سمعت من زمن بعيد ترديدا لنسبة الاراجيز للشنقيطي من اساتذة كبار ، ولكن مقارنة الآراء المختلفة بعضها ببعض توقفنا على غير ذلك ، فالسيد محمد رشيد رضا وكان على اتصال دائم بالسيد البكري يقول في معناه بمجلة المنار ١٩٣٢ مجلد ٣٢ ص ٧١٧ « وقد تلقى غريب اللغة وآدابها عن امامها في هذا العصر العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الكبير فكتب في املائه اراجيز العرب وشرح غريبها ونظم الشعر واتقن النثر وصنف الكتب » .

فالامام الشنقيطي بشهادة صاحب المنار قد املى الاراجيز على تلميذه ، والسيد توفيق قد قام بالشرح والتفسير ، واذا كنا نعلم ان عالمنا اللغوي الكبير كان يرى الاراجيز العربية وعاء اللغة وصندوق الغريب فان اتجاهه الى املائها على تلميذه امر يساوق تخصصه الادبي ، ويتفق مع مشربه في استظهار متون اللغة والالمام باوابدها النافرة واذا كانت الاراجيز قد قيدت بعض هذه الاوابد ، فمن الحبيب الاثير لدى علامة اللغة في عصره ان يقدمها لتلاميذه .

اما القول بأن الشنقيطي قد املى الشرح مع النص فيمنعه منعا جازما ما ذكره الاستاذ محمد كرد علي في الجزء الاول من مذكراته ص ٢٤ حيث قال عن السيد توفيق :

« وقد سألت عنه استاذه الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وكنت اعلم انه اخذ عنه كثيرا وان بينهما صحبة وثيقة ، فقال لي ما رأيت رجلا فتح الله عليه يغلط مثل توفيق البكري في كتابه اراجيز العرب فهو من اوله الى آخره مغلط وهذا كلام غضبان ينطوي على كثير من المبالغة » .

فالاستاذ كرد علي ينقل عن الشنقيطي ان اراجيز العرب مغلط من اوله الى آخره ، ولو كان الشرح من وضعه ، ما قال العلامة الكبير ذلك بل جزم باختلاسه وسرقته من دروسه الخاصة لتلميذه ، ولنا ان نسأل سؤالا ينحسم به الشك في ذلك فنقول اليس انتاج السيد الادبي بعامة يوحي بانه لغوي متمرس . واليس من عناصر اسلوبه النثري التباصر بالغريب والتفاصح بالوعر الغامض من الكلمات . اذا كانت الاجابة على ذلك بالاثبات فلا عجب من مثله ان يكلف بشرح الاراجيز . وان يتعرض لها بالتفسير في كتاب يصدره للناس انما العجب ان يصدر شرح الاراجيز من اديب غير البكري يتحاشى الغريب .

نستطيع ان نقول في ارتياح ان الشنقيطي قد أملى على تلميذه اراجيز كثيرة اختار منها السيد البكري واضاف اليها ما جاء في كتابه، ثم انفرد السيد بشرح ما اختاره واضافه راجعا الى كتب الادب ودواوين الرجاز حتى استوى له من ذلك ما قام بنشره على الناس . ونكون بذلك قد كشفنا ما تراءى لنا من الصواب حول دعوى انتحال الكتاب . وعلينا ان نبدي رأينا بعد ذلك في مضمونه الادبي وفيما وجه اليه من انتقاد .

بدأ السيد كتابه بفصل عن الرجز وذكر فيه انه ديوان العرب في الجاهلية والاسلام وكتاب لسانهم وخزانة انسابهم واحسابهم ومعدن فصاحتهم وموطن الغريب من كلامهم ، ولذلك حرص عليه الائمة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السلف واعتنوا به حفظا وتدوينا وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب سماع الرجز من الشعر فقد روى ان العجاج أنشد ابا هريرة « ساقا بخنداة وكعبا اورما » فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم « يعجبه نحو هذا من الشعر » .

وقول السيد ان الرجز كان ديوان العرب في الجاهلية شيء انفرد به وحده ، اذ ان الرجز الجاهلي لم يكن الا مقطوعات يسيرة يقصرها الراجز على الحداء للابل او التحميس للحرب ، فكيف يكون مع ذلك ديوان العرب في الجاهلية ، وما اشتهر رجاز جاهلي واحد بالاضافة في الرجز حتى يتهيأ من قوله ما يجعل رجزه تسجيلا ليوم من أيام العرب، او وصف لاوضاع اجتماعية او عادات خلقية . يستنبطها الباحثون ، ان مؤرخي الادب جميعا يذكرون ان الاغلب العجلي وهو مخضرم ادرك الاسلام اول من اطال الرجز قليلا في عهد الرسالة المحمدية فكان مثله في الرجاز مثل المهلهل التغلبي في الشعراء . فهل تكون الابيات القليلة التي سبقت الاغلب على ضآلتها المحدودة هي ديوان العرب في الجاهلية كما ذكر السيد . وأي ديوان هذا ؟.

لقد أخطأ الاغلب حين عمد الى اطالة الرجز بعض الشيء ظنا منه انه يواكب الشعر في اغراضه ومعانيه ثم جاء ابو النجم والعجاج ورؤبة فتابعوه حين اخضعوا الرجز الى اغراض الشعر من مدح وفخر وهجاء وغزل ، وموضع الخطأ في رأيي انهم جهلوا رسالة الرجز الاصلية التي استلزمت وجوده في العصر الجاهلي وهي ان القائل في بعض الاحايين يشعر بخواطر مركزة يريد ان يبلورها في مقاطع محددة ذات ايقاع ورنين فيجد نفسه مدفوعا الى الرجز ، فاذا اراد العربي ان يحدو قافلته جعل الرجز بايقاعه الرتيب اداة حدائه فاصاب به ما يريد . اما اذا تدفقت مشاعره وامتد فيضها الى ابعاد متسعة فالشعر وحده هو المجال الطبيعي للتنفيس عن هذه المشاعر ، وبقراءتنا للادب الجاهلي وما وليه في صدر الاسلام نرى ان الرجز قد سيطر سيطرة تامة على ما يجوز ان نسميه بالاناشيد الحربية ، حتى رأينا شاعرا كعبد الله بن رواحة يتخذ من اراجيزه المختلفة في كل غزوة شهدها ترنيمات حماسية دافعة ، وقارىء أيام العرب في الجاهلية وغزوات الرسول في الاسلام يدرك فضل الرجز المركز الحدد في ايقاظ المشاعر ، اذ انه بما يحمل من انفعال توهج به المقاطع المحدودة اصلح للترديد والاثارة ، فاذا قلنا ان الرجز قبل الاغلب العجلي لم يكن ديوان العرب في الجاهلية بل كان ارغن الحداء في الرحلة وأداة التحميس في الحرب لرتابة مقاطعه ، وتناسب موسيقاه ، وتحديد معناه ، اذا قلنا ذلك فقد وضعنا الرجز الجاهلي موضعه الصحيح .

اما الرجز الاسلامي فلم يكن كما ذكر السيد ديوان العرب في عهد الرسالة وبني أمية وليس خزانة لتسجيل الانساب والاحساب ، ولنصل الى الحق من اقرب طريق نقول ، ان مختارات البكري في كتابه كلها اسلامية أموية ، فماذا بها ؟

انها اراجيز يبدأ مطيلها بالنسيب التقليدي ثم يتجه الى وصف الديار وبعض حيوان البادية متخلصا الى مدح امير بما لو حللت معانيه وشرحت غامضه في جل الاراجيز لا تكاد تخرج عن مضمون قصيدة جاهلية واحدة كقصيدة لبيد ، كان الاحرى بالسيد ان يجعل ميزة الاراجيز صيانة اللغة وحفظ الغريب اما ان يخلع عليها ما خلعه مؤرخو الادب على الشعر فكثير .

على ان اعجاب السيد بالاراجيز ، وتضخيمه الكبير لرسالتها في الادب العربي ، قد دعا أحد مقرظيه الى الجري في ميدانه والنسخ على منواله حتى جاز للسيد علي رفاعة وكيل المعارف ان يقول عنها « انها الاصرح في الدلالة على الاخلاق والعوائد والاصعب في الصناعة لبناء السطور على حرف واحد فان الرجل كان لا يقول ارجوزته الا وهو أصفى ما يكون روحا وانبه ما يكون هبة من مرقده وقد عهدنا من فحول شعراء القرن الثاني والثالث والرابع والخامس من كان يفتخر بان يحفظ الخمسة آلاف بل العشرة آلاف ارجوزة لعلمه بان هذا النوع هو الذي بهرت الشدقين لا دونه فهو أشد ما يكون حرصا على حفظ هذه الدرر المكنونة » .

هذا القول من المؤلف والمقرظ معا قد استدعى هجوما على الرجز بعامة ممن تعرضوا لنقد اراجيز البكري ، اذ ان مبالغتهما المفرطة في تضخيم رسالة الرجز قد دفعت الناقدين الى مبالغة مضادة في تهوين شان الرجز واستصغاره ، فمحمد المويلحي يقول في نقد اراجيز البكري (المقتطف المجلد ٩ ص ٩٣٠) .

وليس الرجز في الموضوع الذي وضعه فيه من الرفعة بل هو شيء حقير ، وبين علماء اللغة اختلاف هل الرجز شعر او نثر ، ولم يكن له شان عند العرب ولا مقدار وقد اراد اللعين المنقري ان يبالغ في هجاء رؤبة والحط من رتبته بمنقصة الرجز وانه لا يصلح للمفاخرة والمساجلة فقال :

أبا الاراجيز يا بن اللؤم توعدني وفي الاراجيز رأس النوك والفشل

وان كان الرجز من الشعر فهو من حثالة القريض وغثاء القصيد ، وهو عند العرب بمنزلة (حمل الزجل) عند العوام في ايامنا ، وما استعمله العرب في جاهليتها الا وقت الضرورة وحين المناسبة في بعض المواقف لانه اقرب تناولا من الشعر ، ولم يقولوا منه الا البيتين او الثلاثة ، وكانوا يقولونه ركبانا ومشاة ويساجلون به على الآبار حين تسقى الابل ، وليس كما زعم احد مقرظي الكتاب الذي نحن بصدده ، حيث قال :

« ان الرجل كان لا يقول ارجوزته الا وهو اصفى ما يكون روحا وانبه ما يكون هبة من مرقده ، ولخسة الرجز لم يلتفت اليه أئمة الشعراء المولدين ، مع تهالكهم وتفانيهم في احتذاء حذو العرب في ضروب الشعر فلم يقل منه أبو تمام الا قصيدة او اثنين ولم يقل منه ابو الطيب الا قصيدة واحدة في الكلب ، ولم يات ابو العلاء منه بشيء سوى ثلاث مقطعات او اربع في وصف الدروع مع انه الشاعر المسهب في جميع ضروب الشعر ، واعظم دليل وبرهان على صحة ما نقوله في خسة الرجز ونقصه شهادة رائد الشعراء ، وقائد البلغاء ابي العلاء المعري نفسه في كتابه رسالة الغفران » .

ثم ساق المويلحي نصا من رسالة الغفران عن الرجز والرجاز ما هو معروف للقراء فلا حاجة بنا الى نقل ما اشتهر وذاع ...

هذا ما قاله المويلحي في تهوين الرجز واستصغاره ، وقد وافقه الدكتور يعقوب صروف حين اوجز القول عن الرجز في نقده الكتاب بالمقتطف المجلد ١٩ ص ٨٥٦ بانه من سفساف القريض . والرجز في حاجة الى الانصاف من المادحين والقادحين فاذا كان الذين يرونه ديوان العرب وسجل عاداتهم واخلاقهم قد ألبسوه ثوبا فضفاضا غرق فيه فان الذين وصفوه بالخسة والمهانة والازدراء قد انزلوه عن قدره، وتنقصوه دون انصاف ، ولو علم هؤلاء وأولئك ان الرجز لا يعاب لكونه رجزا ، كما ان الشعر لا يمدح لكونه شعرا ، بل لما يتضمنه كلا النوعين من احاسيس وافكار ، فقد ترتفع ارجوزة الى الذروة بما تصوره من انفعال ، كما تنخفض قصيدة الى دون السفح بما يشيع بها من ثقل وجمود ، لو علم هؤلاء وأولئك ذلك ، ثم تفهموا رسالة الرجز الاصيلة في تصوير المشاعر الوقتية تصويرا مركزا منغما لا يتسع للتطويل ، لعرفوا ان اكثر المقطوعات من الاراجيز ناجحة واكثر القصائد المطولة منها مخفقة ، وكتاب اراجيز العرب للسيد البكري شاهدي على ذلك ، فانت تجد في مقطوعاته الموجزة من قوة التأثير وجمال الصياغة ما تفتقده في المطولات الضوافي الذيول ولك ان تقرأ الارجوزة الاولى ص ٤ :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد ان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيبا يسر مما أعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا اذن لاثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

فهل تجد هذه الارجوزة دون الشعر . لا يقول بذلك ناقد منصف. واقرا قول عبد الرحمن المعني في قبيلته معن ص ٨٥ :

قد قارعت معن قراعا صلبا   قراع قوم يحسنون الضربا
ترى مع الروع الفلام الشطبا   وناقعا يزداد الا قربا
تمرس الجرباء لاقت جربا

او قول بعض الاعراب ص ١٢١ :

ومهمة فيه السراب يلمح   يدأب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظلون كأن لم يبرحوا   كانما أمسوا بحيث أصبحوا

او قول جرير ص ٥٥ :

أقبلن من نهلان أو وادي خيم   على قلاص مثل سيقان السلم
قد طويت بطونها طي الادم   اذا قطعن علما بدا علم
يبحثن بحثا كمضلات الخدم   حتى تناهين الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم   في ضئضيء المجد وبحبوح الكرم

فاذا ما انتقلت بعد ذلك الى مطولات رؤبة وذي الرمة والعجاج ، وجدت النافر المستوعر مما لا تطيق ، وبدهي ان هذا الحكم غالبي نسبي ، فقد تكون هناك مطولة سلسة وقد تكون مقطوعة وحشية . الا ان احساس الراجز الصادق كثيرا ما يدفعه الى التركيز حين يمتع ويشبع قارئيه .

هذا مجمل الراي في الاراجيز ، ولكن راي السيد الخاص في قيمتها الادبية جعله ينزلها المنزلة العليا من الانتاج الادبي ، ويرى شرحها وتفسيرها واجبا يتحتم عليه ان ينهض به ، وحين ووجه برأي ناقديه في منزلة الاراجيز بعامة من الادب العربي ولم يشأ ان يراجع نفسه في ايمانه المطلق بعظمة هذا الضرب من البيان ، وعلو قائله وروعة نظمه ، بل اندفع يرد عليهم بما يؤكد الايمان المطلق بهذا اللون من القول ، وقد فسحت المقتطف صدرها لرده المتحمس على ما وجهه صروف من نقد لكتابه ، ولعلنا نقف على وجهتي النظر المختلفين ، حين نلخص النقد والرد عليه فيما يلي :

يقول صاحب المقتطف : « انه كان يظن ان السيد تخير أبلغ الاراجيز وعلق عليها شرحا مسهبا فسر غريبها ، وبين مدلولاتها من حيث اخلاق العرب وعاداتهم ولو كنا نعلم ان الرجز من سفساف القريض فاخذنا نقلب الكتاب ونتصفح الارجوزة بعد الارجوزة ونتلو ما على ابياتها من الشرح الموجز والمسهب حتى اتينا على جانب كبير منه فاغفلناه آسفين على الوقت الثمين الذي أضاعه المؤلف في جمعه وتحريره لقلة نفعه بالنسبة الى ما بذله في تاليفه من المشقة وفي طبعه من المنفعة »(١) .

اما السيد فيرد (٢) على ذلك بأنه استحسن ما استحسنه السابقون من رواة الشعر وناقديه ويفيض في تأييد ذلك بخبر يروى عن الرشيد حين طلب من الاصمعي ان ينشده ارجوزة رؤبة وغيرها ثم يعقب على ذلك بقوله « لقد استحسنا شيئا استحسنه الرشيد ورغب فيه واستقبحه المنتقد ورغب عنه » .

وقد ظن السيد ان احتجاجه برأي الرشيد قد قطع القول على ناقده ، ولكننا حين رجعنا الى اصل الخبر بالجزء السادس من العقد الفريد (٣) ، وجدنا الاصمعي يتحدث عن رواية مطيلة استغرقت سبع صفحات من العقد عن مبدأ اتصاله بالرشيد ، فذكر ما ملخصه ان امير المؤمنين أرق ذات ليلة فطلب من على بابه من الرواة فتقدم الاصمعي واخذ يصف في روايته مجلس الرشيد ومحضره وهيبته ، ثم قال وكان اول ما سأله الرشيد أأنت شاعر أم راوية فقال راوية فقال أرويت لرؤبة والعجاج شيئا قلت نعم هما يا امير المؤمنين يتناشدان لك بالقوافي وان غابا عنك بالاشخاص فمد يده فاخرج من تحت فراشه رقعة ثم قال : اسمعني فقلت :

ارقني طارق هم طرقا

فمضيت فيها مضى الجواد ثم أنشدت غيرها ، وسألني عن قصيدة عدي بن الرقاع في الوليد بن يزيد التي اولها :

عرف الديار توهما فاعتادها

فتلوتها ثم ذكر الاصمعي نقاشا طويلا دار بينه وبين امير المؤمنين في بعض معانيها وانتهت الليلة بجائزة سنية للاصمعي » .

ونحن نسأل أكان اختيار الرشيد لارجوزة رؤبة دليلا على استحسانه اياها وتفضيله الرجز كما فهم السيد البكري أم أنه أراد ان يمتحن الراوية الجديد بما يستعصي حفظه من القول فلجأ الى ارجوزة رؤبة ، كدليل على قوة الحافظة ومهارة الاستظهار كما يعتقد، واذا كان الرشيد قد سأل عن قصيدة عدي بن الرقاع فهل يجوز للسيد ان يمضي في استنتاجه فيعلن ان عديا مفضل على شعراء عصره لان الرشيد قد استنشد الاصمعي شعره . لم يقل احد ذلك عن عدي ، وما نظن السيد البكري لو قرأ خبر الاصمعي بامعان يرى فيه دليلا على ما يريد ...

والذي يتابع رد البكري على صروف يراه يتكىء على اقوال القدماء ، ناسيا ان لكل زمان ذوقه وتفكيره ، ولكل رأي قديم ظروفه وملابساته ، ومهما ارتفعت قيمة من يروي المؤلف اقوالهم في استحسان الرجز ، فان ما ينقله لا يخرج عن احكام طائرة تتردد كثيرا في الكتب دون ان يختص بها شاعر او راجز فهي في احدى الروايات يمتدح بها زيد من الشعراء وفي رواية اخرى يمتدح بها عمرو ، وقارىء أمهات الادب القديمة لو أراد ان يفرد لكل شاعر هبط او علا صفحات قيلت عنه ما اعوزه ذلك ، وليس سبيلنا الان في مجال النقد الموضوعي ان نجعل تقريظ خليفة او رأي لغوي او اعجاب راوية دليلا مسلما لا يقبل النقض ، انما السبيل ان نزن القول مقدرين دواعيه ، فاذا ذكر السيد البكري في مجال الرد على المقتطف ان يونس النحوي قد قيل له من اشعر الناس فقال رؤبة والعجاج فقيل له لم ؟ ولم نعن الرجاز فقال هم اشعر من اهل القصيد ، انما الشعر كلام فاجوده اشعره اذا ذكر السيد ذلك فعلينا ان نبحث عن يونس النحوي لنعلم انه عالم لغوي كان يتلقى اللغة عن رؤبة وابن العجاج ، وان ابن خلكان يروي في ترجمة (٤) يونس ان رؤبة قال له حتام تسألني عن هذه البواطل وازخرفها لك اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ، فشهادة يونس لرؤبة شهادة لنفسه اذ انه يمدح استاذه ويعلي مكانه ليرتفع بارتفاعه ، ثم ان يونس عالم لغة ونحو ، وليس ناقد يهتم بالمعاني والصور ، فرأيه في تفضيل شاعر او راجز على غيره لا يصدر عن أهل الاختصاص ..

وقد كرر يونس تزكيته ثانية فقال البكري ما نصه : « وقد سمعنا مقالة ذلك الامام وقد سأله محمد بن سلام هل رأيت اعرابيا قط أفصح من رؤبة فقال لا ، ما كان معد بن عدنان أفصح منه » اما الامام المشار اليه فيونس صاحب (٥) الوفيات في ترجمة رؤبة ، ومعنى الفصاحة في عبارة يونس هو السلامة من اللحن فقط ، وليس معناه ما تقرر بعد ذلك في علوم البلاغة من ان فصاحة الكلمة خلوصها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس ، اذ ان تنافر الحروف والغرابة سمتان ظاهرتان من سمات شعر رؤبة . فاذا كان السيد يعلم ان مفهوم الفصاحة في عبارة يونس هو الخلوص من اللحن ، فنحن معه في ان رؤبة غير لحان وليس الخلوص من اللحن بالمزية الاولى التي ترتفع بها اراجيز رؤبة على غيره من الشعراء . اذ انهم ايضا يبرؤن مثله من اللحن الا ما كان من هنات اخذ نظيرها على رؤبة ولم يسلم منها انسان . اما اذا اراد السيد ان يفهم مدلول الفصاحة البلاغي من قول يونس فذلك ما لا يتاح اذ ان هذا المدلول لم يعرف الا بعد انقضاء امد طويل على عصر يونس حين بدأ الكلام عن تحديد سمات الفصاحة في علوم البلاغة ، وقد كان اول ما تعورف عليه في ذلك هو البعد عن

(١) مجلد ١٩ سنة ١٨٩٥ ص ٨٥ ـ (٢) مجلد ٢٠ سنة ١٨٩٦ ـ (٣) ابتداء من ص ١٥٩ الى ١٦٦ تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان. (٤) وفيات الاعيان جـ٦ ص ٢٤٢ . ـ (٥) وفيات الاعيان ج ٦٣٢

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الوحشي والمتنافر وهما – بعد – السمة العامة لاكثر الاراجيز .

وقد كان اعتزاز السيد بعصور العربية الزاهرة في ماضيها البعيد يجعله يقدس كل ما يروى عن أعلام الادب والشعر في هذه العصور ، وقد قرأ ان ابا تمام كان يحفظ اربع عشرة الف من الاراجيز وان الاصمعي كان يحفظ نظير ذلك ، كما ألم ابو الاسود والعنابي بمثل هذا القدر ايضا فيما ذكر الرواة فاتخذ السيد من ذلك في رده على صاحب المقتطف دليلا على افضلية الرجز . ولو علم ان الذين حفظوا هذه الاراجيز قد قاموا باستظهارها لتسعفهم بالمادة اللغوية وحدها لما رأى فيما حفظوه غير قاموس لغوي فقط ، اما ان يكون ثروة فنية تزخر بما تفيض به أرق المشاعر ، واغزر الاحاسيس فلسنا نرى فيما نعهد من اراجيز العرب ما يشير الى ذلك واذا كانت هناك مبالغة مظنونة فيما روى عن ابي تمام والاصمعي والعنابي من حفظ هذا العدد الضخم فان هذه المبالغة متحققة فيما روي عن ابي الاسود اذ لا يعقل ان يكون على عهده في زمان المخضرمين هذا العدد من الاراجيز قبل ان يزدحم ميدان الرجز بمشاهير ابطاله من امثال ابي النجم رؤبة والعجاج وذي الرمة وما وليهم من الراجزين ... ولعلنا بعد هذه المناقشة التاريخية نرى ان السيد لم يقدم الى ناقده ما يقنع في مجال الاحتفاء كل الاحتفاء بهذه الاراجيز ؟.

ولنا ان نستعرض بعد ذلك كتاب الاراجيز كما صنفه السيد البكري ، لنرى انه اعلن في مقدمة كتابه انه وضع مصنفه في ذكر المختار من اراجيز العرب وتفسير غريبها وشرح معانيها ومقاصدها اما كون ما ذكره في الاراجيز هو المختار منها فان المشاهد انه اغفل أبا النجم العجلي ، وهو سابق السابقين في هذا المضمار وله من الاراجيز ما رن ودوى في كل واد ، وقد كانت المفاضلات في مجلس الادب تعقد بينه وبين العجاج ، فاغفال أبي النجم في كتاب يضم الاراجيز الاموية شيء يوجب التساؤل ؟ قال ابو عبيدة ما زالت الشعراء تقصر بالرجاز حتى قال ابو النجم الحمد لله العلي الاجل ، وقال العجاج : قد جبر الدين الاله فجبر وقال رؤبة : وقاتم الاعماق خاوي المخترق .

فانتصفوا منهم .

وفيما ذكر ابو الفرج (٦) ان فتيانا من عجل قالوا لابي النجم هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره ، وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان من تميم ، فما يمنعك من هذا قال: او تحبون هذا قالوا نعم قال فاتوني بعس نبيذ فاتوه فشربه ثم نهض ، فلما رآه رؤبة اعظمه وقام له من مكانه وقال هذا رجاز العرب .

كما ذكر انه تعرض للعجاج وهو ينشد بالمربد فاوقفه وبدأ ينشد أرجوزته :

تذكر القلب وجهلا ما ذكر

حتى بلغ قوله :

اني وكل شاعر اذا شعر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فما رآني شاعر الا استتر فعل نجوم الليل عاين القمر

فتحاماه العجاج وفر لظرف محرج ، وقد تكون في أخلاق أبي النجم عرامة وشراسة دعتا العجاج الى تحاميه ، ولكنه من كبار الرجاز في عصره ، وعدم اختيار البكري أرجوزة واحدة له مما يبعثنا على التساؤل ؟

اما الخطة التي سار عليها المؤلف في تبويب الكتاب فلا تستطيع ان تتبينها بوضوح فامامنا عدة اراجيز تتسلسل تباعا دون ان تبوب لا بحسب الفرض ولا بالنظر الى الترتيب الزمني للقائلين ولا بمراعاة المقطوعات والمطولات بل تتابعت شتى الاراجيز كما وقعت في يد السيد دون تصنيف مضبوط ، وقد اختلف شرح الابيات ضيقا وسعة لا بحسب سهولة اللفظ او وعورته ، فقد تكون هناك كلمات لا تحتاج الى شرح فيشرحها السيد ويستدل عليها بالشاهد ، وقد تتراكم كلمات صعبة دون ان تجد التفسير المعين ، وقد كنت قرأت ما يشير الى هذا فيما سطره المويلحي بالمقتطف فشككت فيه وعددته تصيدا للهفوات ، ولكني بمراجعة شرح الاراجيز البكرية ارى ان المويلحي كان محقا في ما قال ، وسنلم هنا ببعض نقداته موجزين لقد اختار المويلحي قول الراجز ص ١٠٢ :

عوجا بناري ناعجا مفوقا أعيس محضا ونجاة دمشقا

ثم اتبعه بما جاء في الشرح وهو : مفوق أي معلم الوشيء والعيس : حمرة الى بياض والدمشق الخفيفة .

وقول الراجز :

في الماء يفرقن العباب الفلفقا ضوابعا ترمي بهن الزردقا

واتبعه بقول الشارح العباب الفلفق الاخضر ، والزدق الطريق .

وواضح ان بعض المفردات الصعبة في هذين البيتين لم تشرح مثل ناعج ونجاة وضوابع ، والحاجة من وراء ذلك ماسة الى شرح اجمالي لا يقف عند المفردات واغفال هذا الشرح قد حدا الناقد الى ان يقول:

« فعلى هذا يجري الشرح وينهج ولا يكاد فهم القارىء يمسك شيئا او يقف للبيت على معنى كان واضعه من شدة الاختصار يكتب تلغرافا صادرا عن البيوت التجارية او كانما يمليه وهو واقف بين الكنبتين او راكب للصعبة التي ان اشفق لها فرم وان اسلس لهما تصحم ، ثم سرد الناقد ألفاظا حوشية اخرى لم يسعفها السيد بشرح، وكانه يرى ان المؤلف قد جهل معناها فتركها ، ولكني في مجال الانصاف للسيد اذكر انه لسعة اطلاعه اللغوي يمر به اللفظ المستوعر فيظنه واضحا لالفه اياه ؟ وذلك تعليل صادق لما اغفل من شرح للعويص يؤيد ذلك ما جاء في رده على صروف اذ قال (٧) : « وقد استقصينا الجهد في تفسير الغريب وتوضيح المعاني بحيث لم نبق من ذلك الا ما يستوى في فهمه المبتدىء والمنتهي ، علم ذلك وشهد به كل من اطلع على كتابنا » .

وناحية هامة لا يجوز ان نغفلها في هذا المجال وهي ان بعض الاراجيز تتضمن الفاظا لم يقف احد من العلماء على معناها ، ولم تدون تبعا لذلك في المعاجم اذ كان هم الرواة ان يرحلوا الى البادية ليجمعوا الشعر والاراجيز فقط دون اهتمام بتتبع معاني الالفاظ حتى كان ابو عمرو بن أبي العلاء يسال عن معنى العويص فيقول : وهل كل ما نرويه ندرك معناه . فلا عجب اذا وقف السيد امام بعض الكلمات كما وقف جميع شراح الاراجيز من قبله ولكن العجب كل العجب في اختيار ما ضاع معناه ، دون مبرر قوي لهذا الاختيار ، لذلك كان المويلحي على حق حين قال في نقده « وليس الذي جمعه صاحب الكتاب بالمختار من الاراجيز فقد اساء الاختيار واخطأ الانتخاب ووقعت يده على القصائد المحشوة بحوش الالفاظ وصخري القوافي وغليظ المعاني حتى ان القارىء ليخرج من الكتاب وما في يده شيء منه وما يعلق بذهنه بيت فرد من تلك الابيات ، بل جلمود من صم الجلاميد فان شك احد فيما نقوله فعقابه ان يقرأ ما نرسمه تحت نظره من تلك الابيات الراسيات من احسن القصائد المختارة » :

احقب كالمجلج من طول القلق كأنه اذا راح مسلوس الشمق
نشر عنه أو أسير قد عتق منسرحا الا ذعاليب الخرق
منتحيا من قصده على وفق صاحب عادات من الورد الفقق
ترمي ذراعيه بجثجاث السوق ضرحا وقد انجدن من ذات الطوق
صوادق العقب مهاذيب الولق مستويات القد كالجنب النسق
قب من التعداء حقب في سوق لواحق الاقراب فيها كالمقق
سوى مساحيهن تقطيط الحنق تقليل ما قارعن من سمر الطرق
حشرج في الجوف سحيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق
كأنه مستنشق من الشرق حرا من الخردل مكروه النشق

(٦) الاغاني ج ٩ .
(٧) المقتطف المجلد ٢٠ ص ٤٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

او مفرع من ركضها دامي الزنق — او مشتبك فائقه مـن الفلـق
في الراس أو مجمع احفاد دفق — شاحي لحي قعقعا فـي الصلق
قعقعة المحـور خطاف العلق — حتى اذا أفحمها فـي المنسحق
وانحسرت عنها شعاب المختنق — وثلم الوادي وفـرغ المندلـق
وانشق عنها صحصحان المنفهق — زورا تجافى عن أشاءات العوق
في رسم آثـار ومدعاس دعـق — يردن تحت الاثل سياح الدسق

قال المويلحي « ومعنى هذا القضاء النازل ، والبلاء الساقط ، ان يذكر حمارا يتبعه ، وبقية القصائد عـلى هذا النمط في الالفاظ والمعاني فليت شعري أي فائدة يفيدها هذا الكتاب لابن آدم واي نفـع ينتفع به ابناء اللسان العربي منه وقد رأيت مـن الفاظه ومبانيـه ما لا يجسر احد منا على خطه بقلمه ، وادماجه في قوله ، وما ايـدت حمر الوحوش في الجبال الا للفرار من حمل هذه الاسفار ، وما اظـن أحدا سبقني الى قراءة هذا الكتاب بتمامه ، وما تجلد انسان علـى حمل النوائب والكوارث تجلدي على مطالعته وامعان الطرف فيـه ، ويعلم الله اني ما تجاسرت على الجهر بصوتي في قراءته ، بـل كنت اقراه في نفسي بعد التعاويذ خوف ظهور الجن وهل بقي شان بعـده للجلجلوتية في التعزيم عليهم » .

ومهما شيب هذا النقد بالتهكم الفكاهي فهو يعبر عن حقيقة ماثلة هي قلة جدوى مطالعته وضآلة نفعه ، واذا كان مثل المويلحي لم يخرج منه بطائل ، فما ظنك بمن هو دونه من القراء .

وقد عهدنا السيد البكري سلفيا يحذو حذو السابقين ، وينهج نهجهم في الاختيار والتصنيف ، وقد أحب الاراجيز واراد ان يقدمها للناس ولكنه لم يعرض على القراء ما يرغبون ، واذا كان مقرظه السيد علي رفاعة قد ذكر في خاتمة الكتاب ، ان السيد توفيق قـد أخجـل ماضي العصور اذ انفرد بهذا الاثر المأثور فقدم من الاراجيز نظير ما قدم ابو تمام في حماسته من الشعر فان مقارنة اراجيز البكـري بحماسة أبي تمام تجعلنا نقدر النجاح للسيد لو احتذى نهج أبي تمام في اختياره فان صاحب الحماسة لم يذكر مطولات القصائد بل اكتفى من كل قصيدة بعيونها الاثيرة لديه ، كما لم يحصر اختياره في عصر واحد بل اختار من الشعر الجاهلي والاموي والعباسي . وقـد كان عباسيا كما نعلم فلو ان صاحب الاراجيز نهج نهج حبيب بن اوس فاختـار العيون الموجزة من اراجيز الجاهلية وأمية ثم تنقل الى اراجيز بنـي العباس فاختار مما قيل في الصيد والطرد وتدليل الاطفال والحكمـة وسائر الاغراض التي خضع لها الرجز ، ثـم تنقل في مواكب العصور حتى شارف عصره ، لو فعل السيد ذلك لقدم للقراء مـا يشتهون ، ولكنه ظن ان الغريب من القول هو الميزة الاولى للارجوزة فآثر عهـد رؤبة والعجاج .

تقرأ مطولات الاراجيز لدى البكري فلا تعدم في اصدافها المتراكمة لآلىء تأخذ العين ، فليت شعري كيف حملت هذه الآلىء القليلة في تـل متراكم من الاصداف ، ولم لم يحذ حذو ابي تمام في التخير والانتخاب .

ماذا عليه لو اختار للعجاج من لاميته الطويلة ص ١١ :

« ما بال جاري دمعك المهلل »

قوله عن ممدوحه ص ١٦ :

ينهل للسؤل وقبل السؤل — بنائل يغمـر بـاع النـول
من الخليج في الخليج المرسل — بعلـم والعالـم لا كالاجهل
ان حساب العمل المحصل — عنـد الاله يـوم جمع العمل

ثم اختار من دالية ذي الرمة الطويلة ص ٦٢ :

« هل تعرف المنزل بالوحيد »

قوله في فتاته ص ٧٠ :

تقول بنتـي اذ رأت وعيـدي — هـم امـرىء لهمـه كيـود
أمضى على الهول عـن الطريد — انـك سام سمـوة تمود
فقلـت لا والمبـدىء المعيـد — مـا دون وقت الاجل المحدود
موعود رب صـادق الوعـود — والله ادنـى لـي من الوريد

يا بحر

يـا بحـر جئتك شاكية هـلا رثيت لحاليـه
يـا بحر هـذا الحب هدمني وصار شفائيـه
أشكو لموجك لوعتـي وهواجسي وعذابيـه
أشكو وأنشد صبوتـي فاسمع صدى الحانيـه
معزوفـة أنغامهـا وحـروفهـا آلاميـه
هي دمعة مـن مقلتي هـي بعض بعض جراحيه
هي أنـه الوتـر الجريـح شدا بهـا قيثاريه

أشكو اليك ألا ترى من ضامنـي ورمـى بيـه
دهـري أراه علـى الـدوام مجنـدا لعدائيـه

طرابلس ــ لبنان — غادة سلهب

ثم اختار من جيمية رؤبة الطويلـة : « قـد عجبت نفرة من تهداجي » ص ٥٦

قوله مخاطبا ممدوحه ص ٦٢ :

يا فضل يـا بن الانجم الابراج — انت ابـن كـل مصطفـى سراج
سهـل المحيا خالص الديباج — يدعـى لـه بديكف الحجـاج
خواص كـل غمرة فـراج — للكرب في يـوم الوغى المـواج
مـا احتل في اظلالكم مـن راج — الا نجـا منكم بجهـل الناجي

ثم اخذ يختار من الاراجيز اختيار أبي تمام من الاشعار متنقلا الى روائع بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي وابن المعتز والبحتري وأبي العلاء والشريف واضرابهم من بلغاء الاندلس فيختـار منها ما يشوق ولكل منهم في الرجز مقال حميد . لو فعل السيد ذلك لافلح في جذب القراء الى الاراجيز . ولكنه عاقهم عنها بحجاب صفيق على ان مما حمدته للسيد في شرح الاراجيز استشهاده حينا بمختارات شعرية تدعو اليها المناسبة فاذا وصف العجاج الاطلال ، تطرق السيد الى الاستشهاد بأبيات جيدة لامية بن ابي الصلت وبشر بن أبي حازم والمهلهل وامرىء القيس واذا تعرض راجز لوصف الرحلة في طلب الرزق تطرق السيد الى الاستشهاد ص ١١ بأبيات جيدة للاعشى وزهير واربعة سواهما ص ١٥ ، واذا جاء رجز في وصف الاسد تطرق السيد الـى ذكر رائعة أبي زيد الطائي في الاسد ص ٢٠ التـي جمعت مـن بارع الوصف الادبي ما أمتع واعجب ، وقد جاء ذلك كله في الخمسين الاولى من صفحات الكتاب ، وليته تابع ذلك فيما ولى من الاراجيز ، وأخال اشفاق المؤلف من تضخيم كتابه قد حال دون استمراره في الاستشهاد الشعري ، مع انه كان بسمة لامعة في وجه عبوس .

لقد جمع السيد الاراجيز كما ارتأى ، واقتصر من الشرح عـلى ما ارتآه كذلك . واذا كان الرجل مؤمنا بجودة اختياره ، ومدافعا عن قصور الشرح بما يؤيد ايمانه بسداد عمله وعظيم نفعه ، فلـن يمنعنا ذلك من ان نخالفه الراي ، فنرى انـه لم يتح للاراجيز المختارة ان تحيا في نفوس قرائه ، واذا كان يرى مع السيد علي رفاعة ان اراجيز العرب كتاب ادب كحماسة أبي تمام فما يرى قارىء مثلي في مجموعة اراجيز السيد البكري الا كتاب لغة يقرأ في عسر واجهاد ..

الرياض ــ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

لمياء جذابة الوجه ، ولكنها ليست جميلة وليست دميمة . مصدر فتنتها العينان – العينان المفكرتان اللتان تريدان ان تقولا اشياء كثيرة، ولكنهما لا تجترئان ان تقولا شيئا . وهناك مصدر آخر للفتنة – الفم الواسع المنطبق الشفتين . ان شفته السفلى سمينة كأنها محشوة بالشوق والرغبة .

فريد زوجها استاذ في مدرسة . وهو كلمياء ليس جميل الوجه ولا دميمه ، ولكن مصدر جاذبيته العينان الواسعتان المعبرتان . ان عينيه تقولان كل شيء وان كان صامتا منطبق الشفتين . ان الانسان الذكي يستطيع ان يقرا ما يبعثه قلب فريد الى عينيه من برقيات صامتة. لقد قرا اصدقاؤه عليهما الصدق والاخلاص ، وقرات عليه زوجته آيات الهوى والتضحية .

ماهر وسيم الوجه جذاب الملامح مشرق الشباب . انه جريء في الحديث ولا سيما اذا كان يحادث فتاة حسناء . ولكنه فاتر الحب لا يكترث لحبيبته كثيرا على الرغم من تدله الحبيبة فيه واخلاصها له . والنساء لا يكتشفن هذه الخصلة فيه الا في وقت متأخر فيفارقنه آسفات نادمات .

– حديث الجارات –

– ما اجمل لمياء ! انها شابة في كل شيء : في نظرتها ومشيتها ونشاطها وصحتها وملابسها ، كل شيء فيها موسوم بالشباب .

(الحق انها ليست جميلة . ولكن كثيرات من النساء يرين انها حسناء فاتنة . واخشى ان فندت زعمهن ان يتهمنني بفساد الذوق وضحل التفكير) .

– جميلة ! لمياء جميلة ؟ اي شيء فيها جميل ؟ ان شبابها لا يكسبها جمالا . الجمال شيء والشباب شيء آخر .

(الحق ان عينيها جميلتان . انهما ساحرتان ، ولست ادري لذلك سببا . هذا ما اراه انا ويراه بعض صديقاتي) .

– ولكن الا تشعرين وانت تنظرين الى وجهها انها حسناء جذابة ؟ قولي الحق يا عزيزتي . الا تشعرين بذلك ؟

(مرارا شعرت بذلك ، وقد حاولت مرة ان افاتح لمياء بما اشعر به) .

– في قولك شيء من الصحة . نعم ، شعرت في بعض الاحيان ولا سيما في الاوقات التي تكون فيها لمياء صامتة انها على شيء من الجاذبية والرقة .

(ان في عينيها سحرا خفيا . ولست ادري هل ترين رأيي) .

– وهي صامتة ؟ عجب ! هل



بقلم عبد الحميد الانشاصي

جاذبيتها في صمتها ؟

(لا ، انها لا تجذب بصمتها بل بشيء خفي في وجهها) .

– ان صمتها يعطي محدثتها فرصة للنظر الى عينيها الغريبتين . ان عينيها ليستا جميلتين ، ولكنهما ساحرتان . أليس كذلك ؟

– هذا ما كنت أود ان اقوله لك يا صديقتي . لقد سبقتني الى تلك الفكرة الغامضة التي كانت تجول في ذهني ولم استطع ان أعبر عنها . صدقت . ان السر في عينيها . لا



شك انهما ساحرتان كما قلت . فيهما ميزة لا ترى في عيون غيرها من النساء .

(مرارا حسدتها على هذه الميزة وتمنيت لو ان لي ما يشبهها في عيني) .

– أؤكد لك ان عينيها هما اللتان تجذبان زوجها اليها حتى في الحالات التي يكون فيها غاضبا عليها . مرارا نشأ خصام بينها وبين زوجها وافترقا ، ثم عاد اليها زوجها ذليلا مصالحا . كل ذلك بسبب الجاذبية التي في عينيها .

(ان ما يقع بين ذينك الزوجين من خصام يوهمني ان لمياء تبغض زوجها) .

– ما السبب في ذلك الشقاق الذي يحدث بين ذينك الزوجين ؟ لقد كانا على وفاق بين . فماذا جرى لهما ؟ انهما لا يفتقران الى المال ، فالمال لديهما وافر . وكلاهما على خلق حسن .

(ترى هل لمياء واقعة في حب رجل غير زوجها ؟)

– مالنا وللمياء ؟ سترها الله !

(الست تدرين حتى الآن انها مدلهة في حب شاب وسيم اسمه ماهر ؟)

– ماذا تعنين يا عزيزتي ؟

(هل هي عاشقة ؟)

– اولاد الحرام كثيرون .

(غفر الله لها وله ..!)

– هل هي عاشقة ؟

(مسكينة ! انني لم اكن اعلم ذلك من قبل) .

– انها تعشق شابا جميل الوجه، دميم الخصال .

– من هو ؟

– دعيني من ذكر اسمه . ان اسمه لا يفيدك شيئا. المهم ان تعلمي انه زير نساء وان لمياء المسكينة مخدوعة .

– من كتاب « اسرار الحب »

ان الحبيبة التي تفتقر الى الجمال لا تصلح للحب ، كما ان الحبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي نال نصيبا وافرا من الجمال لا يصلح للحب لانه يملك الجمال. انه يستطيع بوسامته ان يلفت اليه انظار الحسان، ويستطيع بما اوتي من براعة في الحديث ان يوقعهن في حبائل غرامه. اما وسامته فهبة طبيعية، واما براعته في الحديث فناشئة من ثقته بنفسه في اجتذاب النساء اليه لانه يتمتع بتلك الموهبة الطبيعية. يسره ان يصطاد عددا كبيرا من الحسان مفاخرا بقدرته على ذلك. كما ان الطبيعة وهبت لبعض النساء حظا وافرا من الجمال لكي يتزوجن ويؤدين ما عليهن من واجبات وهي المحافظة على التناسل، كذلك وهبت للعباقرة من الرجال قسطا وافرا من الجاذبية التي يجتذبون بها قلوب الحسان لكي يتمكنوا من ان يؤدوا ما عليهم من واجبات وهو الاستمرار على رفع المستوى الحضاري في العالم. كما ان الرجل المتزوج هو الاداة الحية العاملة من اجل حياة المرأة واولادها، كذلك المرأة العاشقة تعد الاداة الحية العاملة من اجل اثار عبقرية الرجل وحثها على المزيد من الابتكار والابداع.

ـ نشيد فريد الداخلي ـ

رايت كثيرات من النساء الجميلات الفاتنات.

ولكنني لم اشعر نحوهن بحب.

ان حسنهن جامد وان كانت الحياة تجول في بياضه وحمرته.

ومنذ وقع نظري على عينيك يا لمياء شعرت بحب نحوك،

لان عينيك مفكرتان. انهما تحاولان ان تقولا لي شيئا.

انك وان كنت حيية فان خجلك لا يمنعني من ان اقرا ما يجول في عينيك.

عيناك قالتا انك لا تستطيعين ان تعيشي بلا حب، وها قد منحتك اياه.

عيناك قالتا انك مشتاقة الى الحبيب، وها قد تزوجت بك.

هذا ما قراته في عينيك المفكرتين يا فاتنتي.

اما انا فعيناي معبرتان. انهما تقولان لك كل شيء.

قالتا: في قلبي حب مكبوت تجمع هناك وتلبد حتى غدا كقنبلة غرامية.

وقد فجرت انت تلك القنبلة فالتهمتني والتهمتك بلهيبها.

لقد شعرت انت بتأثير تلك القنبلة الغرامية وان لم تعترفي لي بذلك.

شعرت بها حينما قبلتك ذات يوم قبلة جعلتك تهربين مني وتقولين: «وحش!».



عبد الحميد الانشاصي

●

وشعرت بها حينما ضغطت اصابعك باصابعي فصرخت كطفلة معتدى عليها.

وشعرت بها حينما عدت الى المنزل لاتناول غذائي فلم اجد ما آكله فصفعتك صفعة ابكتك.

وفي كل مرة كنت اقرأ في عينيك آيات غرامك بي.

وانت ابرع مني في الحديث الغرامي، فانك تقولين لي: «يا حبيبي»، وانا لا اقول ذلك لك.

وتطلقين تنهدة عميقة طويلة، وانا لا اتنهد.

وتداعبينني بدلالك وغنائك، وانا لا اداعب ولا اغني.

اغفري لي جمودي الظاهري يا حياتي، فانا اعيش في عالم داخلي.

ان في اعماقي عالما من الحب والاخلاص احاول ان اجعلك تعيشين فيه.

لقد لملمت اشلاء شخصيتي التي بعثرتها على جسدي أيدي البيئة والعادة، وكونت منها في داخلي انسانا حساسا محبا يود ان يسعدك ويرضيك.

فهل انت راضية عني الآن يا حبيبتي؟

ـ نشيد ماهر الخارجي ـ

لمياء، يا حبيبتي!

انت اجمل فتاة وقع عليها نظري في حياتي.

انك تفوقين جميع النساء وجها وقواما.

وجهك كالبدر وقوامك كالغصن.

انا دائما مشتاق اليك اشتياق الارض الجافة الى المطر.

انني اردد في غيابك كما اردد في حضورك: «احبك! احبك! احبك!»

بدونك لا اجد لذة في طعامي وشرابي.

بدونك لا تحلو الاحلام في ليلي.

كلما انتابني غم والتقيتك تبرد غمي.

وكلما فارقتك شعرت انني فارقت السعادة.

ما احلى كلامك وحديثك!

انه يحول صمتي الى حديث، وقلبي الى لهيب.

انني اناديك دائما في غيابك.

ان قلبي يقول لي انك تسمعين ندائي.

وانا احن اليك دائما في ساعات البعد.

ولا شك انك تحنين الي في تلك الساعات.

ان قلبي دليلي . هو الذي يجعلني اشعر بذلك .
لشد ما وددت ان اقبل عينيك وخديك وثغرك .
انني افكر فيك اكثر مما افكر في تجارتي .
ان خسرت مرة في البضائع التي ابيعها
اقول في نفسي : هذا لا يهم ، حسبي حب لمياء لي مكسبا .
وان ربحت في تجارتي قلت : حبي لك يفوق النقود قيمة .
ليتك تأخذين كل ما في حانوتي من البضائع وتحتفظين به هدية تذكرك بي .
أنت أهم من بضائعي بكثير .
ادامك الله حبيبة لي يا لميائي العزيزة الغالية !

ـ حوار ـ

لمياء الخارجية (في نفور) : اليك عني فأنا لا اطيق ان اراك !

لمياء الداخلية : انني احب نفسك ولكنني اكره تصرفاتك .

فريد الخارجي (بنغمة ضارعة): هل نسيت حبنا يا لمياء ؟ هل نسيت الساعات الحلوة التي قضيناها معا نتبادل فيها الاحاديث الغرامية في غبطة وابتهاج ؟ هل نسيت تلك اللحظات الغرامية التي القيت فيها راسك الجميل على ركبتي، واهديت الي فيها نظرات ملؤها الحب والحنان ؟ ان نسيتها أنت فانني لن انساها . وسأبذل جهدي في تثبيتها في ذاكرتك لكي تذكريني وتذكريها معي في كل حين .

فريد الداخلي : انني لا اصدقك. انك تمزحين .

لمياء الخارجية : لو كنت اعلم ان الزواج هكذا لما تزوجت .

لمياء الداخلية : لقد حرت في امري . لست ادري هل انا احب ماهرا حبا حقيقيا ام انه وهم سيطر علي .

فريد الخارجي (هازا رأسه في تألم) : حبيبتي لمياء ! هل انت نادمة على الزواج بي ؟ ان هذا الكلام يناقض كلامك في الماضي . مرارا صارحتني بانك سعيدة بزواجنا .

فريد الداخلي : ما اشد تقلب النساء !

لمياء الخارجية (في سخط) : هذه اول مرة سمعتك فيها تقول لي : « حبيبتي » . الآن تقول لي : « حبيبتي » ؟ لقد كنت تضن علي بها من قبل .

لمياء الداخلية : ان الرجال لا يخضعون للنساء الا اذا عاملنهم بالقسوة .

فريد الخارجي : انني وان كنت لا اقول لك : « حبيبتي » الا انني كنت اجعلك تشعرين بأنك حبيبتي. اليس كذلك يا حياتي ؟

فريد الداخلي : ان النساء ينسين الاشياء الحلوة في سرعة .

لمياء الخارجية : ان الخمس السنوات التي قضيتها معك هي في الواقع عشرون سنة من الظلم والعذاب .

لمياء الداخلية : ان أي رجل غيرك يعرف كيف يعاملني .

فريد الخارجي (ضاربا صدره بيده) : يا لله ! لقد انكرت كل جميل اسديته اليك بعد ان كنت حبيبك اضحيت غريبا عنك . ماذا جرى لك يا لمياء ؟ لا تعجلي في الامر. فكري مليا لعلك تهتدين الى الصواب .

فريد الداخلي : يبدو لي ان الامر جدي وخطير . اخشى ان تكوني قد أحببت رجلا غيري .

لمياء الخارجية : لقد فكرت في الامر مليا . حسبي تفكيرا .

لمياء الداخلية : دعني وشأني .

فريد الخارجي : هل تعنين انك تريدين الطلاق ؟

فريد الداخلي : ان طلقتك ندمت على تسرعك .

لمياء الخارجية : (هازة رأسها): نعم .

لمياء الداخلية : لقد صممت ولن اعدل عن قراري .

فريد الخارجي : نعم ! نعم ! (يدير وجهه عن لمياء في تألم ونفور ثم يدني وجهه من وجهها ويحدق اليها) انك مخطئة ! مخطئة ! وسوف تندمين فيما بعد .

فريد الداخلي : ترى من هو الرجل الذي تريد ان تتزوجه ؟

لمياء الخارجية : لا ، لا . انني لست مخطئة . لست مخطئة . أؤكد لك ذلك .

لمياء الداخلية : من يدري لعلي مخطئة . قد يكون ماهر كاذبا او سيء الخلق .

فريد الخارجي : هل أثرت علي رجلا وقعت في هواه ؟ من هو ؟

فريد الداخلي : ليته يقع بين يدي فأقطعه اربا اربا .

لمياء الخارجية (بصوت منخفض): لا تقل ذلك . انه على كل حال يعرف كيف يدللني ويداعبني . انه يعرف كيف يدخل السرور على قلبي .

لمياء الداخلية : انه اجرا منك .

فريد الخارجي (في سخط) : حسن ! تزوجي من شئت من الرجال . امهلك ثلاثة ايام لتفكري في الامر مليا . فان أصررت بعد ذلك على الطلاق طلقتك .

فريد الداخلي : يا لك من امراة صغيرة العقل !

ـ حوار اخر ـ

لمياء الخارجية (في ابتسام) : واخيرا تخلصت من فريد . لقد نبذته .

لمياء الداخلية : مسكين ! انني اشعر بتوبيخ الضمير .

ماهر الخارجي (في استغراب): هل تعنين انه طلقك ؟

ماهر الداخلي : يا لك من امراة غبية ! اتظنين ان شابا وسيما مثلي يتزوج امراة دميمة مثلك ؟

لمياء الخارجية : كلا . ولكنه انذرني بالطلاق . انني لا احب فريدا . انه يعبدني ولكني لا احبه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمياء الداخلية : لست ادري هل حبي لك هو الحب الحقيقي الذي يتحدثون عنه .

ماهر الخارجي (بابتسامة صفراء) : كيف يعاملك ؟

ماهر الداخلي : اخشى ان تكوني انت الملومة لا هو ، فزوجك كما سمعت رجل طيب القلب حسن العشرة .

لمياء الخارجية : انه يعاملني في فتور . لم اسمع منه ابدا كلمة « حبيبتي » كأنني لست زوجته .

لمياء الداخلية : ولكنني اشعر انه يتوله بي .

ماهر الخارجي : هل هو قاس في معاملتك ؟

ماهر الداخلي : اخشى ان يكون كلامك هذا صادرا عن دلال خفي .

لمياء الخارجية: قاس في معاملتي! كلا . ربما كان قاسيا في بعض الاحيان ـ حينما يبلغ حبه لي غايته .

لمياء الداخلية : حينئذ افهم قسوته على انها حب عنيف .

ماهر الخارجي (ضاحكا) : ما دام الامر كذلك فهو لطيف في معاملتك وليس في سلوكه قسوة .

ماهر الداخلي : لقد حزرت . انه دلال خفي .

لمياء الخارجية (بنظرة مداعبة) : وهل انت ايضا معه ؟

لمياء الداخلية : قد تقصد جس نبضي .

ماهر الخارجي : لست اعني ان زوجك رجل ممتاز ، ولكن كثيرين من الرجال يعاملون زوجاتهم معاملة زوجك لك .

ماهر الداخلي : ان الرجال ليسوا ملائكة .

لمياء الخارجية : وهل انت واحد من هؤلاء ؟

لمياء الداخلية : انني لا اعتقد ذلك .

ماهر الخارجي : كلا . كلا . لست اعني ذلك . انت ادرى بخصالي وطباعي من اي انسان آخر .

دخان في الهواء

نحن في علبة الحياة سجاير	بين بخس من الصنوف وفاخر
دختننا دقائق وثوان	ممعنات في غيها .. لا تحاذر
حين ولت بنا ، ولم يبق منا	غير رمز ، وذكريات لذاكر
ودخان الى السماء تسامى	ورماد في تربه متناثر

الاسكندرية — ادوار حنا سعد

ماهر الداخلي : لا شك انني في نظرك افضل الناس خلقا وسلوكا .

لمياء الخارجية (مبتسمة ومتمايلة في دلال) : انك شاب طيب القلب حميد الاخلاق حسن الطباع لا يدانيك رجل آخر في ذلك .

لمياء الداخلية : وفريد ايضا يمتاز ببعض الخصال والاخلاق الحميدة .

ماهر الخارجي : شكرا لك يا حبيبتي ! شكرا لك على حسن ظنك بي .

ماهر الداخلي : انك امراة بسيطة جدا .

لمياء الخارجية : لو لم تكن كذلك لما رغبت في الاقتران بك وآثرتك على زوجي .

لمياء الداخلية : هل تشك في حسن ظني بك ؟

ماهر الخارجي : ألم تترددي ابدا في قرارك قبل ان يتم الطلاق بينك وبين فريد ؟

ماهر الداخلي : انك امراة طائشة .

لمياء الخارجية : (عابسة) : ان قراري نهائي . هل انت متردد يا ماهر ؟

لمياء الداخلية : اخشى ان تكون عابثا بي .

ماهر الخارجي (في جد) : ان بعض النساء يندمن بعد الطلاق لان العشرة الزوجية ليس من السهل نسيانها .

ماهر الداخلي: لقد عشقت قبلك حسانا كثيرات وبعضهن يفقنك في كل شيء ، ولكنني لم اختر منهن فتاة لاتخذها زوجة لي . فخير لك ان تعودي الى زوجك قبل ان يطلقك . مسكينات النساء ! انهن يصدقن بسرعة .

لمياء الخارجية (بنغمة عصبية) : لقد فهمت الآن كل شيء . كنت طيلة الوقت تعبث بي . أليس كذلك؟ الآن فهمتك على حقيقتك . لقد خدعتني وسخرت بي . انني اكرهك (تدير اليه ظهرها في سخط ثم تنصرف بخطى عصبية) .

ـ النهاية ـ

عادت لمياء الى منزل زوجها في خزي وندم . ولم تكد تدخل المنزل ويقع نظرها على ولدها حتى صاح : « ماما ! ماما ! » . فحملت الطفل بيدين قويتين مشتاقتين ، وراحت تقبله في شره . ثم التفتت الى زوجها وكان واقفا في ناحية من الغرفة ، والقت عليه نظرة حب واستعطاف . ومشت نحوه في بطء وضعف . ولما دانته انكسر نظرها استغفارا . وامسكت يده ثم مضت به الى ناحية الغرفة مطأطئة الراس وبعد ذلك رفعت اليه وجهها وعلامات الاسف والندم والتألم مرتسمة على كل قسماته . واخيرا طوقته بذراعيها في حنان ، واخذت تقبل وجهه قبلات حارة صادقة شعر فريد بعدها ان لمياء لم تمنحه طيلة حياتها الزوجية معه قبلات مثلها . فمسح شعرها في حنان ، ثم ضمها الى صدره في قوة وتعانقا .

عمان ـ الاردن عبدالحميد الانشاصي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمود تيمور

الانسان و «معبود من طين» عند تيمور

بقلم فتحي الابياري

* * *

يعود محمود تيمور مرة اخرى الى الاطار الاسطوري ، لينسج لنا روايته الجديدة « معبود من طين » حيث صور فيها الصراع العنيف بين المثالية والواقعية من جهة ، ومن جهة اخرى ، صور الاعماق السحيقة في النفس البشرية ، من ذلك المجهول ... الانسان .. وقد امتعنا تيمور من قبل برواياته نداء المجهول ، سلوى في مهب الريح ، كليوباترا في خان الخليلي ، شمروخ ، الى اللقاء ايها الحب ، المصابيح الزرق . وفي كل رواية ، كان يحاول بريشته الفنية ان يكشف لنا ملامح ذلك الخليط المشنت .. الا وهو الانسان .. في سعيه الملهوف حين تصدمه مرارة الواقع وراء نداء .. خفي.. نداء مجهول . او ان يقع المرء في حبائل شائكة من الطبقية ، فيصبح في مهب الريح كما حدث لسلوى . ثم يقدم لنا تيمور لوحات ساخرة لاذعة عن السياسة لعلاقات الانسان .. بالانسان ، وبالمثل ، والواقع ... مع كليوباترا في خان الخليلي . وفي صورة مكبرة في عالم « شمروخ » ، رسم لنا بدقة الصراع العنيف حول « شمروخ » او البترول الذي يلعب دورا حيويا في المنطقة العربية ، والذي ادى بالطامعين والانتهازيين الى ان يسلكوا كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة للايقاع بزعيم الاتجاه المناهض لاستغلالهم ، وهو ابن حاكم البلد ، واستطاعوا ان يفرقوا بين الابن وابيه .

وفي « الى اللقاء ايها الحب » كان تيمور يحاول ان يركز الاضواء على تجربة يمر بها الانسان ، وهي تجربة « التكييف » . وهل يمكن للانسان ان يكيف نفسه ليتلاءم مع البيئة الجديدة التي شاءت الظروف الاجتماعية ان يوضع فيها !. وصور فيها قطاع العاطلين بالوراثة في مجتمع العمل . وصراعهم مع الحياة الجديدة عليهم . فكشف القناع عن حياة الكسل والخمول ، ليرى هؤلاء العاطلون ... ان قيمة الانسان في المجتمع الجديد لا تقاس بالثروة ، ولكنها تقاس بالعمل والاخلاص فيه ، وحب الاخرين .

« اما المصابيح الزرق » فكان الانسان فيها تائها في عتمة الظلام ، ولذلك كان يجري ، ويلهث ليبحث عن بصيص نور يهديه الى الحقيقة .

اذن ، فما هو المضمون الذي يهدف اليه تيمور من « معبود من طين » انه يقول في مقدمة القصة « خلق الانسان وفي فطرته البحث عن خالقه .. خالق الكون من حوله ، صانع الاقدار والمصاير في السهل والجبل . في الماء والهواء ، في الارض والسماء . ومنذ الدهر الاول ، والزمن الاقدم ، لم تهدأ للانسان ثائرة في بحثه ، متخذا كل وسيلة وحيلة ، مستوحيا في ذلك عقله حينا ووجدانه حينا ، مستمدا حقيقته من الواقع طورا ،ومن الوهم طورا ..

وعلى تعاقب الحقب ، وفي مختلف المواطن ، عرف الانسان الهه ، او اهتدى الى كنهه فاطمأن اليه ، وسبح بحمده ، واستسلم لقضائه وقدره ، وليس الدين الا القيم الاخلاقية السامية ، والوان السلوك الاجتماعي الرفيع تتبلور كلها في عقيدة روحية ، يجد الانسان في حرارتها دفئا ، وفي ظلها امنا ، ويقتبس منها قوة دافعة له الى الامام .. فلا غرو ان يسعى الانسان جاهدا الى ان يستمسك بالوهية تحميه ، وتوجه سعيه ، وتنير له ابعاد الطريق .. ولا غرو ان نراه ، حين يفقد الحقيقة واليقين ، يلوذ بالوهم في « معبود من طين » .

واذا حاولنا ان نستشف هذا الهدف ، فينبغي علينا ان نحلل الشخصية الرئيسية في هذه القصة الفرعونية وعن طريقها يحلل الكاتب النفس البشرية ، ويسبر اغوارها . وقد انتهج المؤلف اسلوب الترجمة الذاتية في سرد احداث الرواية القصيرة ، فيبدأها بتلك السطور قائلا : « ان من يتحدث اليك في هذه القراطيس التي بين يديك ، ليس من البشر ، انه اله .. اله عظيم اطول والطول ، اقاموا باسمه معبدا ضخما ، ونصبوا فيه تمثالا له فخما ، وعكفوا عليه ، يعبدونه ويتزلفون اليه . انني اله .. اله في اعين الناس ، اما انا في حقيقة نفسي ، فواحد من البشر انسان مثلك لا امتياز له عليك . »

والذي يروي لنا احداث تلك الرواية هو « بتاح » من مدينة « انب ـ حر » الخالدة ذات الابواب السبعة .

وكان والده امينا على خزائن « فرعون » الاكبر ، مهيمنا على ثروة البلاد . وكان « بتاح » ميالا الى المثالية ، لا طاقة له باحتمال الواقع المرير الذي يحيط به ، وذلك الواقع القائم على زيف وخدعة ، وعلى تنكر للحقائق الباقية . وكان مما ايقظ ضميره ، وارهف وجدانه ما شهده من مناظر اليمة حوله ، عندما كان يجوب مع ابيه الاقاليم ، لجمع الاتاوات ، وتسخير العبيد .

وكان مما اثار دهشته ، ان الكهنة كانوا يضللون العقول ، ويموهون الحقائق ، وينشرون بين الناس عقيدة الخضوع والاستسلام ، للواقع المرير . وعندئذ بدا يروض نفسه على السمو فوق الغرائز والنزعات . وطفق يبث معتقداته بين اصدقائه واهله ، لكي يتجهوا الى نور الازل ، النور الذي يغمر الكون كله . ووصل خبره الى « بهاتور » رئيس الكهنة ، فناصبه العداء ، وكان جبارا طاغيا يتخذ من سلطان الدين مطية لمآربه .

وذات امسية بينما كان « بتاح » ومريدوه مختبئين للتشاور والصلاة فاجأتهم جنود « بهاتور » وكانت مذبحة ، سالت فيها الدماء البريئة ، التي اذهلت « بتاح» ففقد احساسه بنفسه ، وادراكه لما حوله ، وعندما استعاد رشده ، وجد نفسه في مكان مهجور في الصحراء . وبالصدفة التقى بناسك متعبد يدعى «كاي » كان يسكن مغارة ، ولا يعايشه فيها الا حفيدة ابنته .. واسمها « نفرت » . وروى للناسك كل ما حدث له ، وانهى حديثه متمنيا ان يكون صديقه الوفي « سنكرع » قد نجا من المذبحة ، ليحمي عقيدته الجديدة من الاندثار .

وعاش « بتاح » مدة طويلة مع « كاي » وحفيدته ، يتعبد في تلك الواحة الخضراء ، ويلتقط اخبار قومه من القوافل التي كانت تمر بالمكان . وعرف ان رفيقه قد غدا كاهن دين جديد ، يبشر به ، ويدعو اليه . ومات الناسك « كاي » . وعندئذ اخذ (بتاح) (نفرت) معه عائدا الى مدينته ، ليرى ماذا فعل رفيقه في نشر الدين الجديد .

وهناك التقى (بتاح) برفيقه (سنكرع) ، فهاله التغير الهائل الذي اصاب المدينة واصحاب سنكرع نفسه . وقال بتاح من اكون اذن ؟

فقال سنكرع :

ــ انت .. ما انت الا طيف .. خيال لشخص .. لا وجود له ..

ــ اهكذا تصفني يا سنكرع ؟

ــ الا تعلم ان (بتاح) هو اله هذا البلد الامين ؟

ــ لم يكن (بتاح) الها .. انه بشر من لحم ودم .. وها هو ذا يتنفس امامك .

ــ حذار ان تقول انك « بتاح » ، اذا اردت لنفسك السلامة .. هيهات ان يكون معبود هذا البلد رجلا يمشي على الارض .. وما يجرؤ اليوم ان يتسمى باسمه واحد من البشر ..

واصاب الخبل « بتاح » لما يحدث امامه . فقد اصبح ميتا وهو حي . اصبح الها معبودا من اهل قومه ، وهو انسان حي .

ودار صراع حواري بين « بتاح » و « سنكرع » . كل يحاول ان يدافع عما يعتنقه من مبدأ « بتاح » يدافع عن الحقيقة .. الضعيفة ، امام الاكذوبة ، الضخمة التي ابتدعها « سنكرع » . وسنكرع يغلف الاكذوبة التي ابتكرها ويعيشها كل الناس بأقنعة زائفة من المبادىء ولكنه دعمها بالقوة والسلطان والجبروت .

يقول بتاح :

ــ لقد عبثتم بالدين والعقيدة ايما عبث ..

فصاح سنكرع يقول :

ــ ان جوهر الدين مصون لم تمسه يد عابث ..

ــ يا للهزيمة التي لحقت بنا !

فظل « سنكرع » وقتا صامتا مرفوع الهامة ، ثم قال :

ــ اني اعمل جاهدا في سبيل الخير المطلق .. حررت البلد من الارهاب الديني ، واشعت الطمأنينة في القلوب ، واصبح الدين بين اهليه سبيل تراحم وتعاطف، لا اداة اضطهاد وتنكيل ، لقد عملت كثيرا ، وساواصل عملي ما حييت .

ــ ولكن اين دعائم ديننا الاصيلة .. دين الاله الحق ... نور الازل .

ــ اصالة الدين موجودة .. من الخير الا نتعجل ... ستنمو مبادىء الدين وتترعرع مع الزمن .

ــ من الذي علمك هذا البدع من القول .

ــ علمتني اياه تجارب الحياة .

ــ تجاربك هذه لا تساير الحقائق والتعاليم ..

ــ الحقائق والتعاليم يجب ان تساير ما تسفر عنه تجارب الحياة .. لقد عشت انت ما عشت في عالم صغته من احلامك المثلى .. عالم لا يلائم الواقع في قليل او كثير .

ونتساءل الان .. هل يمكن للحقيقة التي لا تستند على القوة بأن تقف امام الاكذوبة الضخمة التي ترتكز دعائمها على سلطة وجبروت ؟ ان هذا السؤال هو الذي يحاول ان يجيب عليه تيمور في روايته القصيرة . وهي ليست رواية شخصيات نامية او مسطحة وانما يغوص الكاتب بين سطور الرواية في اعماق النفس البشرية ، ليكشف ... بعض صفات ذلك المجهول .. الانسان . ويبدو واضحا ان المؤلف قد تساءل مع نفسه قبل بدء الكتابة ، هل يمكن للانسان ان يعيش مثاليا خالصا في عالم الواقع بما يشده من نزعات ، واغراءات ، وطبائع . انه لم يجب بنعم اولا . ولكنه في الحبكة الفنية للرواية ، وعن طريق رسمه للشخصيات ، وعن طريق الحوار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاطار الاسطوري الذي اتخذه تيمور لروايته ، نستطيع ان نعرف الى اي نتيجة وصل اليها في هذا العمـــل الفنـي .

وذات يـوم ذهب (بتـاح ــ حبث) وهـو الاسم الجديد (لبتاح) اذ لا يمكن ان يتسمى انسان باسم الاله الاعظم . ذهب مع (سنكرع) الى بهو الاحتفال الضخم بمناسبة العيد الكبير .. حيث يتعارف فيه الفتيـان والفتيات .. وفي البهـو الكبير طالعـه تمثـال ساحـق ضخم ، على هيئة انسان ، واقف وقفة امرة وسلطان . والفى « سنكرع » يركع أمام هذا التمثال في تخاشع ، ويرتل اوعيته وصلوات .. ثم عاد الى وقفته بجانـب « بتاح ــ حبت » الذي اذهلته تلك الحركات .. فقال لسنكـرع :

ــ لمن ركوعك يا سنكرع

ــ للاله بتاح .. الهنا الاعظم .

ــ وماذا كنت تتفوه بـه .

ــ صلاة تحية استقبله بها .

ــ اهزؤا بي يا « سنكرع » ؟

ــ كلا

ــ اتؤمن بهذا الاله يا رجل ؟

ــ قل .. ما مبلغ ايمانك بما تقول وما تفعل يـا « سنكـرع » ؟

ــ لا مناص من الايمان يا « بتاح ــ حبت » ..

ــ اتعني انه لا مناص من الاذعان للاكاذيـــب والضـلالات ؟

وكيف تتجلى الحقائق اذن ؟

ــ ما كل حقيقة يجبان تقال .. ولكل شيء اوان ؟

ــ جدل زائف .. ومهاترة جوفاء !

ــ ...

ــ لقد اجدتم صنع هذا التمثال حقا .. انه هائل .. رائع .. عظيم .. اني احس ضآلة شخصي بجواره .. يا للسخرية !

.. الحقيقة تافهة متخاذلة .. على حين تغـدو الاكذوبة في بهاء ورواء ! .

هذا اللقاء بين الحقيقة ، والاكذوبة وجهـا لوجه ، اراد به تيمور ان يؤكد ان الانسان لا بد ان يؤمن بشيء ، يتمسك به ، حتى ولو كان اكذوبة . وهو دائما في حاجة الى ان يرتبط بشيء .. بطوطم ، او مجهـول ... او تمثال . هذه النزعة المتأصلة في النفس البشرية .. نزعة الايمان .. لتنير له ابعاد الطريق .. طريق الحياة . واذا فقد الحقيقة واليقين .. فاننا نراه يلوذ بالوهــم والاكاذيب ..

كما نرى في هذه الرواية « معبود من طين » .

وهناك نزعة اخرى متوطنة في اعماق النفس البشرية ولا يمكن كبتها ، او قتلها .. ما دام الانسان يتنفس ، ويستنشق عبير الحياة . وهي الحب .. الى الجنس الاخر فقد حاول « بتاح حبت » ان يستأثر بـ « نفرت » . ولكن « نبكاد » وهو احد الشبان الاقوياء .. اختطفهـا منه .. ليشتركا معا في احتفال العيد الكبير .. وعندئذ .. سقط « بتاح ــ حبت » مغشيا عليه ، وعندما افاق قال له شيخ وقور تلك الكلمات « اترك الشباب للشباب .. ولتكن سيادتنا في هذا العيد ان يسعد ابناؤنا » .

وحاول « بتاح ــ حبت » « ان يثور علـى تصـرفات « نفرت » التي عاشت طوال عمرها في اعماق الصحراء ، لا ترى امامها الا الرمال .. والسماء ووالدها .. وبتاح ، ولكنها بعد ان اندمجت في عيد الشباب ورات الفتيان والفتيات يمرحون ، ويرقصون في بهجة .. ونشـوة . اندفعت .. بكـل جوارحها المكبوتـة .. تسايرهـم .. وتتذوق معهم رحيق الربيع .

وبعد صراع عنيف في اعماق نفسية « بتاح حبث »، اكتشف ان نزعاته ، ورغباته الدنيوية بـدات تتحـرك ، وقد حسب ان نفسه بعد تهذيبها وترويضها قد برئت من كل اثر للشر ، وقرر ان يبتعد عن المدينة ويعـود الى صحرائه ، وانعزاله ... ويقول مودعا « نفرت » :

ــ هل انـا اله يا نفرت ؟

ــ ولماذا تأبى ان تكونه ، والناس كلهم يرونك الها ، وانا منذ نشأت لم ارك الا ذلك الاله المرموق !

ــ لست الها يا نفرت .. انا امرؤ خاطيء .

ــ حاشا لك ان تكون خاطئا ..

ــ كنت احسب اني كما تزعمين .. ولكن تجلت لي الحقيقة عند التجربة .. عرفت اني خاطيء لا ريب ..

ــ كيف ذاك .

ــ ما افقرني الى ابتهال الى الاله الحق .. نـور الازل .. استلهم منه طمأنينة اليقـيـن .. الشكـوك تراودني .. والحيرة تنوشني .. ولا اتبين وجهالطريق.

ان المثالية الخالصة لا وجود لهـا في عالم الحقيقة المليء بالنزعات ، والرغبات . ولا بد ان تمتزج المثـالية بالواقع ، حتى يمكن للانسان ان يعايش الذين من حوله ، وان يعايش مجريات الاحداث في المجتمع الذي يحيـا فيه . اما ان يسجن نفسه في اطار من المثالية .. فـلا شك انه سيفقد مثاليته اذا احتك بالواقع المنظور . فاذا استطاع ان يطوع بعض مثالياته للواقع كمافعل «سنكرع» فانه بهذ الصورة يصبح انسانا .. بكل ما يحمل مـن صفات ونزعات طيبة ، واخرى شريرة . اما اذا حـاول ان يكون مثل « بتاح ــ حبث » فلن يكون اكثر من «معبود من طين » .

ومضمون الرواية يهدف الى مناقشة الحقيقـة ، والاكذوبة والنفس البشرية ، التواقة الى الالتصـاق باي شيء تطمئن اليه ، حتى ولو كان في آخر الامـر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبق اللمى

عبق اللمى لا زال ينفـح في فمـي ... وأنـا أعـض أناملـي لتندمـي
خطرات حبك لـم تعـد مشبوبة ... مات الوداد وشف نهـل المبسم
كوميض برق يا لحبك قـد ذوى ... ابان بهج العرس أو هـي ملثمي
أنـى الهوى لمـا غويت تدللا ... وأبيت وصلا مـن هـزار ملهـم
يومـا شكوتك للهـوى بتضرع ... فظلمت قلبي طـول ليـل مظلـم

بيروت بشرى مـن جفائك عاشقا ... قد تاب عنك اليوم منـه تسلمي
مـات الـذي كان الفؤاد يجلـه ... عبر النوى حب عليـه ترحمي
خاب المـرام فقـد فقدت أحبـة ... بيروت مـن أهـل العراق تعلمي
نزف الفؤاد عليك دفـق دمائه ... يا خيبة المطلول من طيب الـدم
أسفي على تلك الربوع هجرتهـا ... وقصدت نحو قسية لـم ترحم
تياهة هامت علـى هـام الدجى ... تبغي الهوى بين الغوى والمغنـم
أضوت فؤادا هام فيهـا مدلها ... وسلت لقـاه بدلـة وتبـرم

بغداد يا أسمى البـلاد كرامـة ... أنعم بها بلـد الحبيب وأكـرم
لم تبق لـي دنياي مـن أشتاقه ... من بعدما اعتل الهوى بالمغـرم
شف الهوى الا لمـن عشق الحيا ... فلاجلها تلك التي لـم تظلـم
فـي ظلهـا ماس الوداد مروقـا ... وسط الجنان وبين كم البرعـم
يستاف مـن ورد يميس بمنهـل ... ويعل مـن راح رحيق المبسم

بيروت عنـدي في العراق أهلـة ... من كل بدر بعد شمس ملهمـي
أأعود منك الـى العراق مدلها ... ولأنت أحرى بالجـوى فتتيمـي
مـا عـاد حبك يستظل مغبتـي ... أو عاد سحرك ملء كـأس مفعم
سأعود منك الـى الديـار منعما ... من كـل ثغـر بالرضاب منمنـم

بغداد

عبد الصاحب المختار

وهما . ولذلك اختار تيمور الاطـار الاسطوري لهذه الرواية . ومن ناحية المجال القصصي ، نجح المؤلف في ان ينقلنا الى الجو الفرعوني ، عن طريق الكلمة المعبرة الصادقة ، والحوار البسيط السلس . اما الشخصيات فهي عبارة عن تيار يحمل الافكار والاراء المتصارعة . فهي لا تؤثر بسلوكها واحداثها ، وانما تؤثـر بما تحمله مـن معتقدات ، ومبادىء .

والملاحظة التي تسترعي الانتباه ، اذا قارنا هـذه القصة وروايات تيمور السابقة نجدها اقصر نفسا ، من سلوى في مهب الريح ، او نداء المجهول ، او الى اللقاء ايهـا الحب ، ولذلك يمكن ان تطلق عليها اسم الرواية القصيرة . والحقيقة التي يجب ان نذكرها ، هي ان قلم تيمور المبدع ما زال يواصل تغذية القصة العربية الحديثة حتى هذه اللحظة .. حيث تتجلى فيه تجارب السنين وحكمة الشيوخ ، وبراعة التكنيك الفني .

القـاهرة

فتحي الابياري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـــديـــة

وردة عاطرة في يوم عيد
بلبلا يصدح في الفجر السعيد
اهدنيهـا
لا تقل .. تلك هدايا ..؟
انها شيء صغير
انما ينعش حبي
ذلك الشيء الصغير

●

يـا حبيبـي
رقد العام القديم
في ثنايـا الغيب
في مـوج ضباب
هات حدثني هل كان كريم
خيرا روى امانيك العذاب ؟
لا تقل قاسيت من ظلم .....
لا تقلهـا
قلبك الطافح بالعزم تخطى
كل صعب وانتصر

وتعال .. يا حبيبي
نرقب العام الجديد
باسما حلوا تغذيه الاماني
قد مزجناها معا
من فؤادينا وعزمينا
امانـي غوالـي
لا تبالي الغد يا اروع حلم
سنلاقيه معا عزما لعزم
نحن قلبان كبيران اتحدنا
بوركت من وحدة تجمع قلبينا على
اسمى نضال

اسمى طوبـي

●

بسمة في فجر عيد
وردة ذات عبير
بلبلا ينشد جذلان سعيد
اهدنيهـا
لا تقل .. تلك هدايا ..؟
انهـا شيء صغير
انمـا ينعش حبـي
ذلك الشيء الصغير

الرابية ــ لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان الوقت ليلا .. والجو قارس البرد عندما عاد الدكتور « فتحي » بسيارته يطوي الطريق المؤدي الى مطار القاهرة الدولي ، وحيدا بعد ان ودع « صلاح » المسافر الى لندن لتكملة دراسته في الطب البشري ..

كانت لحظة الوداع قاسية بالنسبة له ، فقد خيل للدكتور فتحي وقد ضم صلاح الى صدره .. انه لا يريد ان يفلت من بين ذراعيه وان يظل ممسكا به حتى لا يفتقده ، وقد خانته دموعه رغم الشجاعة عندما اقلعت الطائرة .. كانت نفس الدكتور فتحي تهفو شوقا الى ان يطير وراءها .. وظل بصره لا يتحول عن الطائرة رغم ظلمة الليل حتى توارت ... في الافق .

كان الطريق طويلا .. فاشعل الدكتور .. سيجارة واخذ منها نفسا عميقا عل دخانها يسري عنه ما يجيش في صدره من ضيق ..

ومن خلال حلقات الدخان المتصاعدة والتي احاطت وجهه بغلالة رقيقة سبح تفكيره واستعاد ذكريات ماضية كانت راسبة في اعماقه ..

ومن خلال تصفحه لماضي حياته الذي تجسم امامه في هذه اللحظة .. كانت السيجارة لم تفارق شفتيه الا لتحل محلها اخرى ..

★

كان ذلك منذ اكثر من عشرين عاما على وجه التقريب ..

كان في غرفة مكتبه بعيادته عندما دقت الساعة تعلن الثامنة مساء .. فشخص اليها نظره ، ثم اعتدل في جلسته ، وتثاءب في استرخاء .. وكان حملا ثقيلا انزاح عن كاهله .. لقد انتهى اخيرا من اعداد بحث طبي طويل ..

وبينما كان يلقي نظرة سريعة لمحتوياته .. دق جرس الهاتف .. ومزق السكون الذي يخيم على الغرفة بدقاته المتواصلة ..

ودهش الدكتور فتحي لاصرار الطالب على تلبية المكالمة .. وساءل نفسه قبل رفع السماعة :

— ترى من يعرف انني هنا اليوم .. ان اليوم الجمعة وهو يوم العطلة الاسبوعية للعيادة ، كما انه اليوم الوحيد الذي يساعدني على مراجعة ابحاثي في جو من الهدوء بعيدا عن مشاغل الاسبوع واحداثه .

وظل جرس الهاتف يدق دون توقف ..

ورفع السماعة على مضض فجاءه صوت رقيق انثوي ... مشحون بنبرات حزن قائلا :



بقلم رستم كيلاني

— الدكتور فتحي ..

— نعم ..

— معذرة يا دكتور .. اريدك لامر هام تتوقف عليه حياتي .. ومستقبلي ..

وبادرها دون تفكير .

— لكن ..

فقاطعته باصرار :

— انا اعرف مدى مشغوليتك لكنني لن اضيع من وقتك كثيرا .. فهل تأذن لي بالحضور اليك واؤكد لك انني لن اسمح لنفسي باكثر من دقائق ..



فقال الدكتور فتحي باستسلام :

— اني في انتظارك ..

ولما تجاوزت الساعة التاسعة بدقائق .. دق جرس باب العيادة .

واستقبل الدكتور فتحي الفتاة التي حدثته منذ ساعة في الهاتف ، كانت في العشرين من عمرها تقريبا ... نحيفة .. رقيقة .. يبدو عليها القلق والاضطراب وقد انعكست على كل حركاتها حيرة مبهمة بدت لاول وهلة للدكتور فتحي .

واشار اليها بالدخول .. وسارت امامه الى حجرة مكتبه بخطوات بطيئة متخاذلة .. وكان بصره لا يتحول عنها ..

وجلست امامه صامتة .. وطفق يتأملها متفحصا ، كان في عينيها الم ويأس وقنوط .. وطال بهما الصمت لحظات ، ثم قالت بلطف وقد نكست رأسها وكأنها تخشى ان تلتقي نظراته بنظراتها .. وقد بدت في صوتها رنة اسى عميق :

— اخشى ان اكون قد عطلتك عن عملك يا دكتور ..

— ابدا .. ربما يكون مجيئك هذا خيرا لي .. وخيرا لك ..

واطرقت برهة ثم تنهدت تنهيدة عميقة تنم عما يكنه صدرها من ضيق :

— اتعشم ذلك .. وعلى كل فاني لن آخذ من وقتك اكثر من دقائق معدودة وبعدها سأنصرف لشأني .

— هات ما عندك ..

ولفهما الصمت من جديد .. ثم بدات تتحدث في لهجة فيها مرارة وحزن وهي خافضة البصر :

— عندي مشكلة .. اريد ان افضي بها اليك .. علك تستطيع ان تساعدني على حلها ..

وصمتت ، ثم استرسلت :

— انا من اسرة فقيرة يتيمة الام .. ورغم قسوة ابي .. وذل زوجته اتحمل تلك المعيشة معهما من اجل قيامي بتربية اخوتي الاشقاء الصغار .. وشاءت الاقدار ان اتعرف بشاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من عائلة كبيرة .. ونشأت بيننا اقوى واعنف قصة حب ، اندفعت بعواطفي نحوه ، كنت اجد الراحة في الجلوس اليه والتحدث معه .. كنت اطمئن اليه واطرح بين يديه كل مشاكلي .. ومشاكل عائلتي .. واستمرت علاقتنا على احسن ما يكون ..

وتحت ظروف خاصة فقدت اعز ما تملك الفتاة .. ووعدني بالزواج وسافر الى اهله ليقنعهم بزواجه مني .. وانتظرت على احر من الجمر .. ومرت الايام ... وطال انتظاري .. ولم يعد .. حتى ولم يبرق لي .. او يرسل لي رسالة يشرح فيها ظروف تأخره .. ولو بالرفض .. لكنه تركني وحدي احمل الهم الدفين .. تركني في دوامة مملوءة بالشك الذي جعلني حطاما .. حتى اصبحت حياتي سلسلة من المتاعب لا حصر لها .. اصبحت لا انام .. اعيش في خضم الحياة تعيسة .. ضائعة .. فكرت في الانتحار واعددت بالفعل الشيء السام الذي سيقضي علي بمجرد ان يصل الى اعماقي .. لكن خفت من الله وعذابه وخاصة وانا احمل في احشائي جنينا عمره شهران .. لقد ترددت يا دكتور في المجيء الى هنا كثيرا ، ولكن عندما شعرت بأن الجنين الذي يسكن احضاني يكبر يوما بعد يوم .. خفت من الفضيحة .. ومن افشاء سري .. فأسرعت اليك اليوم .. وكل املي ان تساعدني في الاتصال بوالد ذلك الجنين لترجوه ان يتم زواجه بي قبل ان يفتضح امري ..

لا تعجب يا دكتور اذا قلت لك ان والد ذلك الجنين هو .. هو شقيقك .. نعم شقيقك فؤاد الذي احببته من كل قلبي وتمنيته لنفسي .. لقد جئت اليك بعد بحثي عنك طوال اليوم بين البيت والنادي ضارعة لتساعدني في حل هذا الموقف .. ولكي تتأكد من صدق قولي هذه الوريقة التي اثبت فيها فؤاد قبل سفره بأنه هو والد ذلك الجنين .. واظن هذه الوريقة ليست بالدليل الكافي لاقناع والدي .. او اعفائي مما ارتكبته من ذنب .. وتلك مأساتي .

وصمتت وتدفقت الدموع على وجهها الحزين .. بينما كان الدكتور فتحي ممسكا بالوريقة المكتوبة بخط يد شقيقه .. يدقق النظر فيها ويعيد قراءتها ..

وفيما هو على حاله يقدر ويدبر قالت بصوت مخنوق بالبكاء ويدها تمسح بقايا الدمع :

ــ انني اعرف انك ستدافع عن



رستم كيلاني

●

شقيقك بحكم الاخوة .. لكن كل ما ارجوه ان تحكم قلبك .. وضميرك .. وانسانيتك .. وانا طوع امرك بما تحكم به ..

وبعد صمت قليل .. اعاد الدكتور فتحي الوريقة اليها قائلا :

ــ اني اصدقك كل الصدق .. وخاصة بعد ان قدمتما يثبت صدق قولك .. ولكن احب ان اوضح اليك امرا اظنه قد خفي عنك ان فؤاد شجاع لا يهرب منك او من ولده .. فهذا الامر ليس من طبيعته ، ولكن الظروف كانت اقوى منه ومنك .. لقد مات فؤاد ..

وقد بوغتت بهذا الخبر الفاجع الذي كان له اسوأ وقع في قلبها .. وشهقت وصكت وجهها ، وحاولت ان تخفيه في منديلها وانفجرت في بكاء مر اليم وكانت تتمتم وقد خنقتها العبرات :

ــ مات .. مات فؤاد .. يا للنكبة .. يا لها من مصيبة داهمتني من كل جانب ..

ثم عاود الدكتور كلامه وهو يغالب دموعه وفي قلبه انين مكتوم :

ــ نعم .. بكل اسف مات .. مات اخي الوحيد وهو عائد الى القاهرة ، وذلك منذ شهرين اصطدم بسيارته في الطريق .. والفيناه جثة هامدة في الترعة ..

وصمت ثم قام من جلسته ، وطفق يفكر فترة وهو يذرع الحجرة ذهابا وايابا ، بينما هي كانت غارقة في صمتها تندب حظها التعس وقد اعتمدت رأسها بيديها ..

وتوقف الدكتور فتحي عن خطواته هنيهة تجاهها واشعل سيجارة ثم قال في صوت جاد :

ــ سأعرض عليك حلا اعتقد انه المخرج الوحيد لك من هذه الورطة .

وسكت .. ونظرت اليه في صمت وعيناها الدامعتان تسألانه عن الحل وتنتظر في لهفة ما تنفرج عنه شفتاه .

وبعد ان سحب نفسا عميقا من سيجارته قال في صوت خفيض :

ــ من واجبي الان ان اجد لك الحل الذي يرضيك ، ويرضي ضميري ، ويريح اخي في قبره .. ستقيمين معي على ان اتخذك زوجة لي بالاسم وليس بالفعل .. ستكونين زوجة لي امام الجميع ، اما امام الله ستكونين كأخت لي الى ان يتقرر مصير هذا الجنين .. وسوف تجدين انت وطفلك كل رعاية مني .. وفاء لشقيقي الذي كان بالنسبة

عندما تيبس الحروف

●

شراع جديد يشرنق ضعفي	يدب بأعماق نفسي ابتهال
أيمتد بيني وبينك جسر	ويومض في ناظرينا سؤال
ويرتد طرفي .. وأناى بحسي ..	ويحدث ما كان قبل احتمال
واملك ذات نهار حبيبا	يمر ويحصد كل خيال
وتيبس بين الشفاه حروفي	ويغدو خيالي جناحا مهيض
فلا الحلم يوقظ في حنينا	ولا الدرب يشرق فيه وميض
لأن الضياء مقيم ، وقد كا	ن طورا يغيض ويوما يفيض
فيمنح عمري سر الحياة	أيحيا بغير النقيض نقيض
اذا ابتعدت ستغدو حياتي	ربيعا دفينا ولونا وظلا
فان الترقب يطلق شوقي	وأرضى حنيني قيدا وغلا

دمشق

سلافة العامري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لي كل آمالي واحلامي .. والذي ترك بموته في حياتي جرحا لن يندمل .. هذا كل ما استطيع ان اقدمه لك ..

وقبل ان يتم حديثه اكبت على يده تقبلها وتشكره .. والدموع قد تحجرت في مآقيها ولم تحر جوابا .

ومضت شهور كان الدكتور فتحي يوليها كل عنايته ورعايته ، وهي بدورها افاضت على حياته نورا جديدا ، وهيأت له عيشة راضية لا يشوبها كدر حتى ماتت وهي تضع مواودها صلاح الذي جاء الى الدنيا لا يعرف من حقيقة امره شيئا سوى ان الدكتور فتحي اب له ..

وقد كرس الدكتور فتحي حياته في سبيل تربيته ، وكان يشعر نحو صلاح بعاطفة غريبة كان يرى في صورته صورة مصغرة لشقيقه الراحل فؤاد ..

وكرت الاعوام سراعا .. وتخرج صلاح من كلية الطب بتفوق وكان اول دفعته وقد سافر لتكملة دراسته في الخارج .. على راس البعثة الموفودة من الدولة ..

امضى الدكتور فتحي طوال الطريق في استعادة الذكريات ، وبينما كانت دموعه تكاد تحجب عنه الطريق كان قد وصل الى بيته وهو يشعر بوحشة قاسية تحيط به ، لم يكن له بها عهد بسبب الفراغ الذي تركه صلاح بسفره الى الخارج .. وكان الاعياء قد استحوذ عليه ..

القاهرة

رستم كيلاني



الدكتور كمال نشأت

ظاهرة التقليد في أدب الشباب

بقلم الدكتور كمال نشأت

* * *

جاءت الحرب العالمية الاولى – وهي اكبر حرب شهدها الانسان لاول مرة – فزعزعت القيم وبذرت الشكوك وهوت بالاخلاق ، وابتداء الادب – وهو مرآة البيئة والعصر – يصور هذا الانهيار حتى اذا قامت الحرب العالمية الثانية – وقد دامت خمس سنوات كما نعرف جميعا – وراح ضحيتها الملايين ، كانت بذور الانحلال واليأس والانهيار قد استوفت نموها في نفوس الناس وبخاصة اهل الدول التي اشتركت فيها .. فهؤلاء قد عرفوا مذاق الجحيم ، وطعم الموت ، وقساوة الدمار . واستمرار كل هذه العذابات مدة حربين طويلتين الفارق الزمني بينهما قصير بذر روح الشك فيما حصلته البشرية وما يضبط حياتها من قوانين وشرائع واخلاقيات واذا بالانسان ممثلا في فلاسفته – يتابع اتجاهات سخطه وثورته وتمرده ، ويلتقط من فلسفات سابقة ما يلائم هذه الاتجاهات واذا بالوجودية كفلسفة نمت فوق الخرائب والدماء والاطلال بعد جحيم عاشه الاوروبيون في حربين مدمرتين في جيل واحد تنادي بان الوجود يتمثل في التفكر الفردي ، ومعنى ذلك انه لا يوجد شيء الا هذا التفكير فلا قبله ولا بعده ، والنتيجة اذن هي انكار الماهية ، وانكار وجود الله ، وانكار قوانين الاخلاق وغيرها من الضوابط . وهذا الانكار لا بد منه في نظر الوجوديين حتى يتحرر الانسان من تراث كبله بالاغلال ، فيمارس حريته كانسان ويحقق وجوده في عالم جديد لا يسيطر فيه اله او قيم او دين او عادات او تقاليد . ولكن الوجودية رجعت فربطت بين هذه الحرية وبين هدف يحققها ، فهي تدعو الى الالتزام واتخاذ المواقف تجاه المشكلات على ان يكون الموقف في حالتي الرفض او القبول نابعا من تفكير الانسان الحر لا خاضعا لمؤثرات او قيم سابقة .

الا ان هذا الموقف الوجودي ادى الى ازمة نفسية عند ممارسته في الواقع ، فما دام الانسان ينكر الاله وبالتالي الاديان والعالم الاخر وينطلق وحده حرا – كما ينادون – فلا شك انه يفقد الاطمئنان النفسي ويحس باليأس والقلق ، فهو عار من كل ما يسند روحه او يدفع اليها الامل وتأكيده على الفردية جعله يضخم احساس (الغربة) .. فهو وحيد في عالم فسيح فقد حتى العزاء الذي سيلاقيه في العالم الاخر .. ومن هنا كانت مشاعر اليأس والغربة والقرف وهي الملامح العامة للادب الوجودي الذي صور هذه (الازمة النفسية الوجودية) ثمرة ازمات القرن العشرين بوجه عام ، ودليل انهيار الحضارة الغربية وشيخوختها . وباستطاعتنا ان نرى هذه الازمة في الصراع الفكري الذي يصور معاناةالانسان الوجودي من الاخرين في مسرحية سارتر « الجلسة السرية » او « الباب المغلق » فسترى فيها (انيس) الشاذة جنسيا قد اغوت امراة بحيث اثارت غيرة زوجها فماتتا مختنقتين بالغاز ، وسنرى (استيل) التي تزوجت شيخا طمعا في ماله حتى تستطيع الانفاق على عائلتها الفقيرة .. وهي تحب شخصا آخر تنجب منه ولدا .. ولكنها تقتله فينتحر عشيقها .. وهكذا تبدو المأساوية والشذوذ طابعين للحياة .. واننا لنسمع في مسرحيته « سجناء التونا » راي البطل في القرن العشرين : « كان يمكن ان يكون العصر طيبا لو ان الانسان لم يتربص به عدوه القاسي العتيق عدوه الضاري الذي اقسم على حتفه ... الحيوان الخبيث الذي لا شعر على جسده .. وهو الانسان » .

ان أزمة الوجوديين – كما تتضح في ادبهم – هي ازمة اليأس وفقدان الثقة والاحساس بالغربة بحيث تتقطع العلاقات بين كل منهم وبين الاخرين . وبذلك يعيش الوجودي في سجن انفرادي صنعه بنفسه مختارا ... ومن هنا كانت الكراهية للناس .. واننا لنجد نفس هذه الروح عند كاتب وجودي آخر هو البير كامي ، فهو في روايته « الغريب » يكشف عن عالم يائس حزين ، ويصور بطلا تتشابك في نفسه الدوافع والغرائزوالانفعالات بحيث يبدو وكانه لا يعرف نفسه كما لا يعرفه الاخرون ، وهو يتابع الموقف الوجودي المعروف (مأساة الوعي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفردي في عالم غريب) .

وهذا الموقف الذي يستلهمه الوجوديون ، يظهر يأسهم ، وافتقارهم الى ايمان داخلي ، كما يظهر عبث الحياة من وجهة نظرهم ، ومن هنا كانت الحياة بغير هدف ولا معنى ، ولذلك وجب على الوجودي ان يعيش وحدته الداخلية ، فاذا كان هذا الوجودي اديبا رايت في ادبه التذمر وكره الواقع وكره الناس جميعا .. ذلك ان الوجوديين في حالة قرف مستمرة ، وهذا احدهم يقول :

« في ساعة العمل المعينة يقف الناس في صفوف طويلة تحت الارض لكي يحصلوا على مكان في عربة المترو الواقفة .. انهم يقفون صفوفا لكي يجلسوا في الاتوبيس .. الناس .. الناس .. الناس .. دائما جدد ، وكلهم متشابهون في نفس الوقت لحد الفظاعة .. اجساد انسانية لا يفرقها شيء متدافعة .. تتقاطر من جميع الجهات ، وكلها تأخذك سجينا اسيرا بين حوائط سجن الاحياء » . (١)

ان (الانا) زاعقة في هذه السطور الى حد المرض والحساسية الشاذة تجاه الاخرين لا تحتاج الى دليل .. « الناس .. الناس .. الناس .. دائما جدد وكلهم متشابهون » ولا شك ان غرابة هذا الاحساس تدفعك الى الظن ان القائل ليس من البشر مثل هؤلاء الناس الذين يشمئز منهم ويكرههم .. وانه ـ لا بد ـ من عالم آخر او من طينة ارفع من طينتهم !

ويشارك ادب « كافكا » المريض مثله في تجسيد بعض هذه الازمة ، فهو يصور التمزق النفسي والعصابية وضعف الانسان امام المجتمع ، واجترار غربته عن الحياة والناس .. بل هو في بعض الاحيان ينبيء عن نفسية مريض تتملكها الاحلام المزعجة والكوابيس التي يراها مرضى الاعصاب ، ويظهر ذلك في روايته « المسخ » وبطلها (جريجوار) الذي يعمل باحدى المؤسسات ، ويحس بالسعادة لانه استطاع ان ينفق من راتبه على تعليم اخته الموسيقى .. وفي يوم يصحو جريجوار هذا فيجد نفسه قد تحول الى حشرة كبيرة ويكتشف بشاعة منظره ونفور اهله منه ، فيقبع تحت فراشه ويحدث ان يسمع اخته تعزف الموسيقى ، فينزل الى حيث توجد هي واهله الذين يبدون نفورهم من شكله ، ويقذفه ابوه بتفاحة تصيبه في ظهره وتكون سبب موته . وفي الصباح يكنسه الخادم التي كانت تعرف سره ولا تبدي نفورا منه . ويشارك ايضا في مضمون هذه الموجة المريضة كاتب اللامعقول « صمويل بكيت » الذي يصور في مسرحه عالما مفككا ، وشخصيات تقوم بينها هوات عميقة بحيث يتعذر التفاهم بله الاتصال الانساني الصحي ، وهي اولا واخيرا شخصيات غريبة ولذلك اصبحت اقرب الى المسوخ لا الى البشر ، وهي في عزلتها لا تملك الا لغة مشوهة لا منطق فيها .. تحاول عن طريقها التعبير فتعجز .. وراجع مسرحيتيه « لعبة النهاية » و « في انتظار جودو » وبخاصة المسرحية الاولى لتجد كل هذه الغرائب والخزعبلات وانواع الشذوذ المختلفة .

ومن كتاب هذه الموجة ايضا « يوجين يونسكو » الذي يتابع تأكيد الضياع واللامعقولية والغربة الحادة ، ولعل الفقرة التالية تلخص كل هذه الملامح .. يقول على لسان بطل احدى مسرحياته « اطيق سماع اصواتهم بعد .. سأضع قطنا في اذني .. الحل الوحيد ان اقنعهم ولكن اقنعهم بماذا ؟ هل يمكن وضع حد لهذه التحولات ؟ هذه هي المسألة .. وهل من امل في ردهم ؟ وعلى اية حال لكي تقنعهم عليك ان تتحدث اليهم .. ولكي اتحدث اليهم علي ان اتعلم او عليهم ان يتعلموا لغتي ، ولكن اي لغة اتكلم ؟ ما لغتي ؟ او اتكلم الفرنسية ؟ نعم .. لا بد انها الفرنسية .. ولكن ما الفرنسية ؟ يمكن ان اسميها كذلك اذا اردت .. »

وليس هناك ـ كما نرى ـ تأكيد للغربة وانعزال الانسان عن الاخرين وادانة للغة نفسها التي يراها عاجزة عن ان تكون واسطة تفاهم مع الاخرين اكثر من هذا . ولكن لنا ان نسأله بعد فنقول : اذا كنت يا سيد يونسكو ترى اللغة عاجزة عن ان تكون جسر تفاهم بين الناس فلماذا لجأت اليها لكتابة مسرحيتك ؟ أليس قصدك ان يصل حوارك الى المشاهدين .. فلماذا التعب اذن ما دمت تؤمن ان هذا الحوار سيظل في مرحلة انعدام الوزن بعيدا عن افهام الناس كما تعتقد ؟ وهو نفسه يقول محددا فلسفته في الحياة ورؤيته الشاذة لها « ليس لي من صور للعالم غير الزوال والوحشية والجنون والغرور واللاشيئية والرعب والكراهية اللامجدية . كل ما جربته وكل ما رايته من طفولتي : الجنون التافه الخسيس .. افانين الصراخ التي يغطيها الصمت .. الظلال التي يطوقها الليل ابد الدهر .. » (٢)

ان الذي نود ان نؤكده هنا هو ان هذه الاتجاهات ـ على انحرافها ـ نشأت في المجتمع الغربي نشأة طبيعية وهي صورة لحضارة شاخت ومجتمع مريض دب فيه العطن والفساد ، والمعروف ان الحضارات حينما تستوفي اغراضها ويطول بها الزمن تأكل نفسها ، وما من حضارة ـ ولنراجع التاريخ ـ الا وانتهت بالموت والجمود بعد تألق وازدهار والحضارة الغربية الان تجود بالنفس الاخير ، ولكنها قبل موتها قد ادت دورها ، واتاحت للفرد الاوروبي ان يعيش حياة كريمة تليق بالانسان ، واذا كان الادب العربي الذي يعاصر شيخوخة هذه الحضارة ويرافق احتضارها قد انعكست عليه حشرجتها وانفاسها المتساقطة

(١) الواقعية الاشتراكية ـ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) مجلة الاداب العدد السادس ـ حزيران ـ ٩٧١ ص ٢٤ .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

المحمومة ، فهل لنا نحن ان نقلد هذا الادب الغارب وشمسنا لما تطلع بعد ؟ .

اننا نعيش – على مستوى الامة العربية كلها – حياة تخالف حياة الاوروبيين ولنا مفاهيم وعادات وتقاليد وتراث تخالف كلها نظائرها عندهم ودعك من القشور الساذجة السطحية التي قد تبدو غريبة في حياتنا ... امثال مودة الملابس وبعض العادات الوافدة .. فكل هذه قشور لم تصل الى وجدان الامة العربية .. ثم ان الحرب لم تنل منا مثلما نالت من الاوربيين .. ان الاضرار التي اصابتنا لم تتجاوز ارتفاع اسعار الطماطم والاقمشة الصوفية في الوقت الذي خربت فيه مدن بأكملها ومات الملايين من البشر في اوربا .. اننا ما زلنا نعاني من مظاهر التخلف الجسيمة التي تجاوزتها الدول الاوربية منذ زمن بعيد .. ما زال الفقر .. ما زال المرض .. ما زالت الامية .. وما زالت اسرائيل التي تهدد وجودنا وتحتل اراضينا ..

ماذا اقول ؟ اننا لم نمارس حياتنا بعد .. حياة تليق بالبشر ومن حقنا ان نعرف هذه الحياة مثلما عرفها الاوربي على المستويين الحضاري والانساني ، والامة العربية كلها تحاول جاهدة الان ان ترتفع الى هذا المستوى بما يحاوله المسؤولون من مشاريع هدفها رفع المستوى الاقتصادي وتطوير الحياة حتى ينال المواطن العربي حقه في حياة كريمة تليق بالانسان . ولكن كيف يتحقق هذا ونحن ندير ظهورنا لكل ما في بيئتنا ، عازفين عنها متطلعين الى مجتمعات اخرى نتابع ادبها الغريب ونروح نقلده بروح الببغاوات التي لا تميز غير دارين ان الادب بالذات خصوصية بيئة تحمل روح التربة وروح الامة وان الاديب ابن بيئته وابن امته .. يرى معاصروه في ادبه انفسهم ومشاكلهم الخاصة وتطلعاتهم وامانيهم ؟ (٣)

اذا كان هذا هو حالنا في الشرق العربي عامة فهل تكون (الغربة) الميتافيزيقية من مشاكلنا ؟ هل يكون القرف الوجودي من المجتمع والناس ملمحا من ملامح حياتنا ؟ . ان اوربا لم تعرف كل هذا الا بعد شبع وبطر وبعد تطور صحي في ادبها عبر القرون ، ولكن ماذا نقول للببغاوات اصحاب البدع الذين يعيشون معنا في مجتمعنا المتخلف باجسامهم وعقولهم تعيش مع يونسكو وبكيت وكافكا . تعيش معهم لا معايشة المطلع المستفيد الذي يقرأ ليهضم ثم يكتب بعد ادبه الخاص ولكن معايشة الببغاء الذي يعيد ما يسمع كما هو دون فهم .

هذا كاتب شاب يستعير (القرف الوجودي) فيكره الناس والحياة ويتجه اتجاها انعزاليا مريضا هو نفس الاتجاه الذي رأينا نماذجه الوجودية التي سبق ان ذكرناها في هذا المقال . ان ما سنذكره له .. يعيد امامك صيحة الوجودي الذي قال مشمئزا كارها « الناس .. الناس.. الناس .. دائما جدد وكلهم متشابهون في نفس الوقت لحد الفظاعة » . يقول كاتبنا الشاب « اخذت اصابعه تعبث بقرص الراديو .. اغنيات حب مفتعلة .. خطابات غير مجدية .. تظاهرات عديدة .. انتخابات مزيفة .. كانت المحطات مبعثرة على اللوح الزجاجي .. واحس بالاعياء يشل فكره .. ارتدى ملابسه وسرعان ما كانت قدماه تعزفان لحنا كئيبا على الشارع الاسفلتي .. واحس بالقرف الشديد ، وتمتم كل شيء مقرف تماما .. الشارع .. الاشباح المتحركة .. اينما اسير ، وكل خطوة اخطوها يطالعني وجه قذر .. بكل صلافة يحدق في وجهي ، ويكشر عن انيابه الصفراء ويبتسم في سخرية » (٤) .

الكاتب – كما نرى – في حالة قرف شديد من كل شيء فليس هناك ما يعجبه اطلاقا . لا الراديو ولا اخباره ولا اغانيه .. ولا الناس .. انهم اشباح متحركة ووجوه قذرة كما يقول .. وهم يحدقون بصلافة في وجهه ويكشرون عن انيابهم .. ويظل القرف ممتدا من النماذج الغربية التي ذكرناها كأمثلة الى نماذج المقلدين الذين يستعيرون حتى احساس الاخرين عبر النموذج السابق للكاتب العراقي الشاب الى نموذج آخر لزميل له ينشره في نفس المجلة ، الا انه لا يتحدث عن الناس جملة مثل صاحبه ، ولكنه تناولهم شخصا .. شخصا .. يقول عن النموذج الاول :

« مددت رجلي تفقآن عيون الليل .. لسعتهما ريح باردة .. ابرد من ذلك الرجل الذي تسلم جوازي عند الدخول .. انه سمين حد الترهل .. سلمت عليه خمس مرات .. لم يجب ظننته يجهل لغتي » ويصور لنا نفس القرف والكراهية للناس في نموذج بشري آخر في نفس قصته او خواطره ويصل به قرفه الى حد البصق :

« لا اعرف متى استيقظت .. ولكني استيقظت على صوت رجل اصفر غليظ كالبرميل .. يمسك بحزمة اوراق مهترئة .. انه يقرأ شعره على الناس ليعرفوه شاعرا .. بصقت على الارض لاول مرة » . وما دام (القرف) هو القاسم المشترك الاعظم في ادب هؤلاء الشباب فليكن (البصق) هو الاحتجاج السلبي .. ولتكن نهاية قصته او خواطره (بصقة) اخرى .. يقول فض الله فاه :

« اردت ان ابصق للمرة الثالثة .. ازحت التراب عن ملابسي .. ودخلت الكهف .. » (٥) وحسنا فعل فالذي يكره الناس هذه الكراهية المريضة وينظر اليهم بعيون كافكا وكامووبكيت .. ويقلد هؤلاء في غربتهم وانعزاليتهم وقرفهم المريض .. لا بد ان ينعزل مثلهم

(٣) من الواضح انها ليست دعوة للحجر على الاطلاع .. اننا ننادي برحابة المعرفة وسعة الاطلاع على آداب الامم الاخرى .. ولكن علينا بعد ان نكتب ادبنا نحن مبتكرين لا مقلدين .

(٤) مجلة « جيلي » العراقية – ص ٩١ .

(٥) مجلة « جيلي » العراقية – ص ٣٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هشيم الماضي

يا حبيبي ، كنت لي قبل النوى فاذا اترعني ، اليوم ، الجوى	دائم الصد ، وبالقرب ضنين كنت كالماضي ، على العهد امين
يا حبيبي ، لا تلم قلبا شدا لم ينل منك على طول المدى	مثلما يشدو كنار في القيود غير مطل لوعود وعهود
انا ان لمتك لا مطمح لي لست ارجو من زماني المقبل	غير ان الصد أذكى عذلي غير نسياني لماضي املي
كن كما شئت وما شاء الهوى كان لي قلب تردى مذ هوى	لا كما ابغي ، وحسبي قدري كيف يغني عن مصيري حذري
ألهوى ، يا قلب أضناني معك كف يا قلبي فحبي روعك	والهوى سلطانه باغي القوى واستوى فيه اقتراب او نوى
يا حبيبي انا أشكو زمني كان فجرا مشرقا أيقظني	منذ ان قدمني يوما اليك ثم ولى ، وانا عيني عليك
لم تكن لي ، ذات يوم ، او اكن لم تكن لي يا حبيبي او اكن	لك يوما غير جفن لا ينام لك الا كيفما شئت أضام
يا حبيبي كيف ناداك لساني كيف لاذ القلب مذ عز اماني	يا حبيبي ! وانا عنك غريب بحبيب عزني منه النصيب
كلما وجهت وجهي معرضا جد لي ما كنت ارجوه انقضى	عن غرام ، سامني لوم الضمير واستبد القيد بالقلب الاسير
يا حبيبي ، ان تكن لي قدرا كنت سوطا جاء يقضي وطرا	يتوارى بين امواج العذاب فاقض امرا حل ، مذ غيبي اهاب
كل ما أحببته من صبوتي كنت نبع الشعر يروي نشوتي	فيك ما قد صفت من شعر الغزل كنت الهاما ووحيا لم يزل

القاهرة

احمد عبد المجيد

ويدخل الكهف .

وبعد .. هل كان هؤلاء الشباب يكتبون امثال هذه النماذج التي ضربنا امثلة لها من اتجاه اوربي هو ابن تأزم حضاري لم نعرفه نحن في الشرق لو لم تكن بايديهم المترجمات اللبنانية لادب مريض ؟

على اننا نستبشر خيرا ونعرف ان هؤلاء الشباب سيتنكبون هذا الطريق حينما ينمو وعيهم وتعمق ثقافتهم ، فهم ما زالوا في مرحلة التكوين ، وهي مرحلة لا شخصية لها .. يتأثر الانسان فيها بآخر كتاب قرأه ..

انهم سيعرفون قريبا ان عبودية الاخرين ستحرم حريتهم الخاصة .. وان الحياة ليست غربة وقرفا ولكنها كفاح ومسؤولية .. عند اسوياء النفسية .

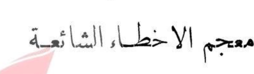
بغداد

كمال نشات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



محمد العدناني



بقلم محمد العدناني

* * *

وجه وضاء

ويقولون : نزار ذو وجه وضاء (بفتح فتضعيف) . والصواب : نزار ذو وجه وضاء (بضم فتضعيف) ، أي : ذو وجه حسن ونظيف . وجمعه : وضاؤون (بضم فتضعيف) ، ووضاضيء (بفتح الواو) . قال ابو صدقة الدبيري :

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم ، وليس بالوضاء
(بضم الواو وتضعيف الضاد) .

او : هو ذو وجه وضيء (بفتح فكسر فسكون فهمز) ، وجمعه : اوضياء ، ووضاء (بكسر الواو) . او : هو ذو وجه واضيء (بكسر الضاد فهمز) وجمعه : وضاة (بفتح ففتح ففتح) .

وفي لسان العرب : فهو وضيء (بفتح فكسر فسكون فهمز) من قوم اوضياء (بفتح فسكون فكسر) ، ووضاء (بكسر الواو) ، ووضاء (بضم فتضعيف) . ثم استشهد ببيت الدبيري ، الذي تدل فيه كلمة وضاء (بضم فتضعيف) على انه مفرد ، كما ذكر مصحح اللسان في الهامش ، وكما ذكر التاج . واعتقد ان الضمير (هو) سقط طباعة قبل كلمة وضاء (بضم فتضعيف) . وقد ذكر التاج والمحيط والاساس والصحاح واقرب الموارد ، قائلين : هو وضاء (بضم فتضعيف) .

وفعله : وضوء (بفتح فضم) يوضؤ (بفتح فسكون فضم) ، ووضيء (بفتح فكسر) يوضيء (بفتح فسكون فكسر) وضاءة (بفتح الواو) .

توفر ذكاؤه

ويقولون : توفر (بتضعيف الفاء) فيه الذكاء والاجتهاد . والصواب : وفر (بضم الفاء) او توافر ، لان معنى توفر (الفاء مضعفة) عليه في اللغة هو : رعى حرماته ، وصرف همته اليه (مجاز) .

لا توافقني الاقامة

ويقولون : لا توافقني الاقامة في بلد غير عربي . والصواب : لا تفيدني الاقامة ، أو : لا تنفعني ...

لاننا نقول :

وافقه موافقة ووفاقا (بكسر الواو) : صادفه . يقال : وافقته في موضع كذا ، بمعنى (صادفته) .

وافق فلان فلانا في الشيء ، او : على الشيء : ضد خالفه . اتفق معه عليه .

وافق بين الشيئين : ربط احدهما بالآخر .

وافقه على الامر : اتفق معه عليه .

لا تخلف وف

ويقولون : لا تخلف (بضم فسكون فكسر فسكون) وف (فاء مكسورة) والصواب : لا تخلف وفه (بكسر فسكون) ، لان الباقي من الفعل المعتل بعد الحذف حرف واحد اصلي ، ولذلك وجب وضع هاء السكت عند الوقف .

وفى الفقيد حقه

ويقولون : وفى (بفتح الفاء) الخطيب الفقيد حقه من الرثاء . أي : أعطاه حقه وافيا تاما . والصواب : وفاه (بتضعيف الفاء) حقه ، او وافاه ، او اوفاه (بفتح فسكون) فتوفاه (بتضعيف الفاء) واستوفاه، أخذه وافيا .

أوقات

ويقولون : قضيت اوقات سعيدة في فلسطين قبل نكبتها . والصواب : قضيت اوقاتا سعيدة ، لان (أوقات) جمع تكسير ، وليست جمع مؤنث سالما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقع النغم

ويقولون : وقع (بتضعيف القاف وفتحها) محمد عبد الوهاب على العود أشجى الانغام . والصواب : أوقع (بفتح فسكون ففتح) . ومصدره : ايقاع . اما التوقيع فله معان كثيرة ، منها : كتابة الانسان اسمه او علامته بيده في ذيل صك ، او كتاب ، تثبيتا له (الامضاء). وفعله : وقع (بتضعيف القاف وفتحها) .

وقف شعر رأسه

ويقولون : وقف شعر رأسه فزعا . والصواب : قف (بفتح القاف وتضعيف الفاء) شعره قفوفا (بضم القاف) : اذا قام فزعا او غضبا ، كما نقله الجوهري في صحاحه .

وقال الفراء : قف (بفتح فتضعيف) جلده يقف (بكسر القاف وتضعيف الفاء) قفوفا (بضم القاف) : اقشعر ، وانشد :

واني لتعروني لذكراك قفة كما انتفض العصفور من سبل القطر

القفة (بضم فتضعيف) : رعدة وقشعريرة . والسبل (بفتح ففتح) : المطر .

تولج أمره

ويقولون : تولج (بفتح ففتح فتضعيف) فلان امر الجيش . والصواب : تولى (بفتح ففتح فلام مضعفة مفتوحة) فلان امر الجيش، لان معنى تولج (بفتح ففتح فلام مضعفة مفتوحة) عليه : دخل .

وفي حديث ابن عمر ان انسا كان يتولج على النساء ، وهن مكشفات الرؤوس ، أي : يدخل عليهن وهو صغير ، ولا يحتجبن منه .

وهبه ألف دينار

ويقولون : وهبه ألف دينار ، ويقول الاساس والصحاح : ان الصواب ان يتعدى الفعل وهب الى مفعوله الاول باللام .

ويقول اللسان : « قال ابن سيده : وهب لك الشيء يهبه وهبا (بفتح فسكون) ووهبا (بفتح ففتح) » . ولا يقال وهبكه ، وهذا قول سيبويه . وحكى السيرافي عن أبي عمرو (بن العلاء) ، انه سمع اعرابيا يقول لآخر : انطلق معي أهبك نيلا . ووهبت له هبة (بكسر الهاء) وموهبة (بفتح فسكون) ، ووهبا (بفتح فسكون) ، ووهبا (بفتح ففتح) : اذا اعطيته . ووهب الله له الشيء .

وحاكى التاج اللسان في قوله ، وينسج المحيط على منوالهما .

ويقول متن اللغة : « وقال جماعة من الائمة : لا يتعدى الى الاول بنفسه بل باللام » .

اما المصباح فيقول : « يتعدى الى الاول باللام ، وفي التنزيل : يهب (بفتح الهاء) لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور (بفتح الراء) » . ثم يقول : « قال ابن القوطية والسرقسطي والمطرزي وجماعة : ولا يتعدى الى الاول بنفسه ، فلا يقال : وهبتك مالا . والفقهاء يقولونه . وقد يجعل له وجه ، وهو ان يضمن (وهب) معنى (جعل) ، فيتعدى بنفسه الى مفعولين » .

وفي القرآن الكريم دخلت اللام على المفعول الاول تسع عشرة مرة، ولم يتعد فيه الفعل (وهب) الى المفعول الاول بنفسه مرة واحدة .

فمن هذا نرى ان اللغويين يكادون يجمعون على ضرورة دخول (اللام) على المفعول به الاول للفعل (وهب) ، تسوغ آراءهم تسع عشرة آية من آي الذكر الحكيم ، وتدعمها دعما قويا .

اما الاستشهاد بجملة قالها اعرابي أمسي لآخر ، وفرض قوله علينا ، فهذا ما لا أقيم له وزنا ، وبرفضه عقلي . ويعجبني ما قاله الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في « مقدمة الصحاح » ، تلك المقدمة النفيسة ، التي تقع في ٢١٢ صفحة ، والتي استشهد الاستاذ عباس محمود العقاد ، بقول الاستاذ عطار فيها :

« من الخطأ ان يفهم احدنا ان الجاهليين كانوا في نجوة من الخطأ، وفي عصمة من اللحن ، بل كان فيهم من يلحن ويخطىء . وقد جاء في الشعر الجاهلي أبيات لا تجيزها قواعد النحو والصرف ، وبعضها لا تجيزه القواعد الا بعد تأويل مسف ، وعلل مصطنعة ، واعتذار مفتعل » .

ولكنني لا أستطيع ان اتجاهل رأي الفقهاء ، الذي أورده الفيومي في مصباحه ، لذا انصح بتعدية المفعول به الاول للفعل (وهب) باللام ، تشبها بالقرآن الكريم ، قمة مراجعنا اللغوية ، ونزولا عند رأي جل لغويينا ، ذلك الرأي الذي سأتقيد به في شعري ونثري ، دون ان اخطىء (بتضعيف الطاء) من يعدون الفعل (وهب) بنفسه الى مفعولين ، لان من واجبنا تبسيط الامور اللغوية ، لا تعقيدها . وفي وسع المخلصين منا تذليل كثير من العقبات اللغوية والنحوية ، دون ان نمس جوهر لغتنا الخالدة رغم انوف اعدائنا ، الذين يسعون الى تحطيمها ، ليحطموا معها قوميتنا العربية ، التي نعتز بها اعتزازا كبيرا .

من اول وهلة   لاول وهلة

ويقولون : ظننته من أول وهلة (بفتح فسكون) طبيبا ، أو : ظننته لاول وهلة طبيبا . والصواب : ظننته اول (بفتح اللام) وهلة (بفتح فسكون) طبيبا . أي : اول شيء .

نموذجات من حرف الياء

ياقة

ويقولون : ياقة القميص ، وهي كلمة دخيلة ، يراد بها ما تربط به رقبة القميص ، ويعرف في الشام باسم ربطة الرقبة (الكرافات) . وسماها مجمع دار العلوم في الجدول رقم ١٢٠ ب (زيق – بكسر الزاي – القميص) .

كتبت بيراعي

ويقولون : كتبت بيراعي ، أي : بقلمي . والصواب : كتبت بيراعتي . وقد قال بعضهم في وصف القلم :

فلا تفترر ان قد دعوه يراعة   فان صريرا منه يستهزم الجندا

واليراع هو القصب (نبات) ، وكانوا يبرون القصبة ويصنعون منها قلما . اما مفرد اليراع فهو يراعة .

وقد أخطأ مصطفى لطفي المنفلوطي ، حين قال مخاطبا قلمه :

يا يراعي ! لولا يد لك عندي   عفت نظمي في وصفك الاشعارا

يافطة

ويقولون : فوق حانوته يافطة ، او قارمة . والصواب : لافتة ، التي أحسنت الجماهير العربية في اختيار هذا الاسم لها ، رغم ان المعاجم الحديثة لا تذكرها . وقد رفعوا في هذا الاسم (اللافتة) ، لانها تلفت الانظار اليها .

يمين غليظ

ويقولون : أخذ عليه يمينا غليظا . والصواب : يمينا غليظة او مغلظة، (بضم الميم وتضعيف اللام) ، أي : قسما مشددا ومؤكدا . واليمين مؤنثة .

الينسون

ويقولون : الينسون واليانسون . والصواب : الانيسون (بفتح فكسر) ، والآنيسون . وهما كلمتان معربتان قديما من اليونانية .

غصن يانع

ويقولون : غصن يانع . والصواب : غصن (بضم فسكون) غصن (بفتح فتضعيف) .

اما كلمة (يانع) فلا تقال الا للثمر ، فنقول : ثمر يانع ، أي : ناضج . وجمعه : ينع (بفتح فسكون) ، مثل : صاحب وصحب .

وقد أينع (بفتح فسكون ففتح) الثمر يونع (بكسر النون) ، فهو يانع ومونع (بضم الميم وكسر النون) .

وينع (بفتح ففتح) الثمر يينع (بفتح فسكون فكسر) ، ويينع (بفتح فسكون ففتح) ، ينعا (بفتح فسكون)، وينعا (بضم فسكون)، وينوعا (بضم الياء) ، أي : ادرك وطاب ، وحان قطافه ، فهو : يانع وينيع (بفتح فكسر) ، وأينع (بفتح فسكون ففتح فضمة واحدة) أيضا .

يعمل باليومية

ويقولون : فلان يعمل باليومية . والصواب : يعمل مياومة (بضم الميم الاولى وفتح الواو) ، ومشاهرة (بضم الميم وفتح الهاء) : اذا أخذ اجرته مرة كل شهر ، ومسانهة (بضم الميم وفتح النون) : اذا أخذها مرة كل سنة .

محمد العدناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الطريق

●

اعتاد الشاعر ان يسير مع ابنته الصغيرة صباحا حتى تصل مدرستها وهو يستمع الى حديثها ، فنظم هذه القصيدة يصف حاله معها .

أسير وطفلتي جنبا لجنب ... أراقبها وارعاها بقلبي
تجاذبني الكلام بلا انقطاع ... وتلحف بالسؤال بلحن صب
فانصت للحديث بكل حدب ... وأرهف مسمعا من فرط حب
تسائلني فأعيا عن جواب ... كمشدوه غدا من غير لب
ويغلبني الحنان وليس بدعا ... اذا عقل الهوى عنتني وعتبي
وأسأل جاهدا بالسر نفسي ... ودمعي راح يعصف دون هدبي
أأصطنع الوقار لكتم حبي ... وحبي غربه يفري بغرب
فلا أدري ويخذلني لساني ... ولو كتم اللسان لباح قلبي

تطالعني باخبار عذاب ... ولا تنفك تنفحني بعذب
تقص من الغرائب ما وعته ... بابطاء وأحيانا بوثب
وتسهب مثل ما يحلو اليها ... بكل عجيبة وبكل ضرب
وتختصر الكلام اذا رأتني ... سئمت حديثها ومللت دربي
ولم توجز لزهد في كلام ... ولكن آثرت تفريج كربي
تهادنني قليلا قيد خطو ... وتقصر عن ملاحاة وعتب
فأحسب أن كسبت ولم اقدر ... بان الظن لا يأتي بكسب
وتغرب طفلتي بجديد لغو ... يطول مداه من شرق ولغرب

تدافعني بكفيها برفق ... وتعبث مرة وتحوم قربي
تراها كالفراشة ما تناهت ... ترفرف بالجناح لفرط عجب
فمن هزج لثرثرة ووثب ... الى هزج وشغب أي شغب
تزاحمني اعتراضا ثم تنأى ... مولية على عجل برحب
فأسرع خلفها حذرا عليها ... وقلبي كاد يقفز دون جنبي
ولا تنفك تعبث في عناد ... كما شاء الهوى في كل ضرب
فاهتف زاجرا فتلين خوفا ... ولا ننفك في سلم وحرب

دمشق

عدنان مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مريض

مريض أنا .. النار تأكل جبهتي   وتضري فتغلي في حشاي المراجل
وينعي الصدى رمسي .. ويعلو نعيه   نحيب البواكي .. تشتكي وتفاضل
غزاني الونى .. من كل حدب ووجهة   واخنت على نفسي .. الدواهي الشواغل
تسابقت الاعضاء .. تشكو اضطرابها   وتبدي اشتياقا للردى .. وتخاتل
وكان ملاك الموت .. يرقب قولها   وفي زنده سيف القضاء .. يصاول

وأقسم لا أخشى المنايا .. ولا أرى   بموتي فناء النفس .. والعمر زائل
واكتم في نفسي اشتياقا لخالقي   وحبي فنائي في الهي حاصل
ولولا فراخ ينتظرن رعايتي   وربك لم تطفي التياعي المشاغل

رنت طفلتي والطهر يغلب حزنها   وعرسي بقربي تفتلي .. وتجامل
وغنى وليداي الحياة وعرفها   وهل يفقه الحزن الصغار البلابل
ولست تعني زهو الحياة وطيبها   اذا لم تنازلك الخطوب النوازل

صغاري اسمعوا .. ان هزت البيت ضجة   وأعولت الثكلى .. وناحت عواذل
ورتل شيخ سورة الحمد وانقضت   سويعات حزن واستفاقت أرامل
فلا تحزنوا .. كونوا على اليتم عصبة   تصاول اهوال الدنا وتقاتل
ولا تفرقوا .. فاليتم ليس نقيصة   وفي سيد الكون الرسول الفضائل
وكونوا على شرخ الشباب أماجدا   فكل سوى بذل المكارم زائل

صغاري اذا لم يبلغ الراحل المنى   ولم يترك المنعي مالا يطاول
فقد خلف الفن الاصيل .. فرائدا   أصائل غرا .. تفتديها الاصائل
فان فخر الابناء بالجاه والغنى   فتيهوا على الفتيان .. واشدوا وطاولوا
ولا يزدهي بالمال سام بعلمه   ويفخر بالاخلاق .. شهم حلاحل

بني أرى مستقبل الناس أسودا   وفي الكون حقد .. أزرق الناب قاتل
أرى في ضمير الغيب .. بؤسا وفاقة   وريح فناء تختفي .. وتطاول
فلن تسمو الاكوان بالعلم ناضجا   وبالذرة الهوجاء .. بئس الاضالل
ولكن بحب يغسل الحقد والخنا   ويعلو على الطغيان .. والحب شامل

بني أحبوا .. وازدهوا باتحادكم   وكونوا فداء يفتدي .. ويناضل
أحبوا وكونوا كالحديد صلابة   اذا برقت يوم الحمام النصائل
فلا يدفع الطغيان .. الا بمثله   ولا يزهق العدوان .. الا القواتل

صغاري أرى سيف القضاء .. مصلتا   تعالوا أودع طهركم .. وأحاول
ويا أم اولادي .. لك الله .. راعيا   تعالي اسبلي جفني .. فاني راحل

حلب   خليل عارف جعلوك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الدكتور زكي المحاسني

استاذي الدكتور زكي المحاسني

بقلم الدكتور بديع حقي

***

كنت قد استشرفت السادسة عشرة من العمر ، حين عرفته ، لاول مرة ، معلما لي في الصف الثامن من مكتب تجهيز عنبر .

وامتدت نظرتي ، شعاعا مستطلعا بين حزمة الاشعة المتشوفة الشاخصة من عيون رفاقي فصافحت ، اما دخل حجرة الدراسة ، قامته المشيقة ، المنتصبة ـ وكان ربعة ، الى الطول ـ ورأيت اليه يمضي ، في حيوية الشباب وعنفوانه ، الى كرسي قابع خلف المنضدة .

وكنا وقوفا ، فاشار بيده اشارة تحملنا على الجلوس ، وتبادلنا همسات مقتضبة يسيرة : ان معلم اللغة العربية هذا ، هو ، فيما يبدو ، معلم رقيق الحاشية لطيف . بذلك تشي قسمات وجهه الطيب السمح .

واجال معلمنا نظره في تلاميذه ، واقتحمتني نظرته العابرة ثم ارتدت الي ، كأنما انست شبها بشخص يعرفه فسألني عن اسمي .

قلت : بديع حقي .

ـ وما قرابتك بالدكتور وحيد حقي .

ـ انه اخي .

ـ واين هو الان ؟

ـ انه منفي بالعراق ، مضى اليه اثر الثورة السورية ، لانه كان يعالج الثوار الجرحى .

قال : كان اخوك ، رد الله غربته ، ومد في عمره ، استاذا لي في صف الفلسفة ، وله فضل كبير علي ، ارجو ان تبلغه ،حين تكتب اليه ، تحيات تلميذه زكي المحاسني ، واتمنى ان تضحي مثله في العلم والخلق والوطنية .

وشعرت بزهو يملأ عطفي ، فقد كان اخي وحيد رحمه الله ، احب الناس الي . كان مثلي الاعلى بين الرجال ، وخلص الي ، آنذاك ، شعور صادق بان معلمي المحاسني ، انسان وفي ، يذكر معلميه ، منوها بأياديهم وفضلهم عليه ، وما يزال هذا الشعور الحلو يناسم خاطري .

وكان فمه وعيناه ، تتجاذب ابتسامة طلية ، مرحة ، لا تألو معانيها تتواثب من الشفتين الى الجفنين ، فيبدو ، اما حدر نظرة ناعمة ، مستظرفة الى طلابه ، كأنما يبتسم لهم بانسان عينيه .

وتظل هذه الابتسامة لصيقة بشفتيه ، ليتراءى وجهه ، في اغلب الاحيان ، مستبشرا ، حتى اذا المت به ، احيانا ، سحابة مكدرة ، ليقطب ويزوي ما بين حاجبيه ،لم تستطع ان تتحيف من البشر المعهود المترقرق في محياه ، اذ سرعان ما يفيء الابتسام الى فمه ، وتنجاب السحابة الجهمة ، ويتهلل وجهه سعادة ورضا .

وكان يخيل الي ان قلبه الذي يحمله بين جنبيه ، قلب طفل بريء ظاهر ، فهو كالطفل يفرح بالكلمة المطربة الحلوة المنصفة ، وهو كالطفل ، لا يعرف الخداع او المكر ، وانه ليمحض اصحابه عاطفة مخلصة نقية ، في بساطة محببة ، لا رياء فيها ولا زيف .

وكان درسه في الادب متعة خالصة لا تنفد لطلابه ، وكان يمتح مما قرأ وطالع وحفظ ، اجوده واحلاه ، يتنخله لنا ليبسطه ، بين الحين والحين ، معلقا شارحا ، واذكر ان المتنبي كان اكثر الشعراء حظا بما ادخرته حافظةمعلمنا ووعته من شعر ابي الطيب ، فكان دائم التمثل بمختارات من ابياته الذائعة السائرة المشهورة ، يمليها علينا ويحملنا على حفظها والاستشهاد بها .

اذكر ، الان ، صوته الندي ، وهو ينشد الشعر ، كيف كان يبدأ خفيضا ، ثم يعلو مترنما ، هازجا ، وعيناه الحالمتان تواكبان الصوت المرنان ، كأنما تهبان له القا واشراقا ، حتى اذا استوفت القصيدة نصيبها من التلاوة، تخافت الصوت الصافي ، شيئا ، شيئا ، واستقرت في الاسماع نشوة مستمتعة ، مسحورة تتمنى المزيد .

وكان رحمه الله ، اول من شجعني واخذ بيدي الى مناهل الادب الصحيح ، ودلني على الينابيع الشهيةالسخية من ادبنا القديم والحديث ، وكان يردد لي كلمة لاتني تغازل سمعي :

ـ سوف تضحي ، يا بديع ، ذات يوم كاتبا .

كانت هذه الكلمة تفعم نفسي اعتزازا وهناءة . ولم

اكن اقتصر ، على وظائف الانشاء التي كان يطلب الى تلاميذه كتابتها ، فقد كنت اعرض عليه ما اقرزم من شعر او ما اكتب من قصص ، فلا يضن علي بالنصح ويتيح لي من فضله وارشاده ما انا له ذاكر طوال العمر .

اذكر ، الان ، حادثا ، ما يزال حتى الان ماثلا في خاطري . كان امتحان آخر العام يوشك ان يهل ، حين اصبت بحمى البرداء (الملاريا) وقد اعتزمت ، مع هذا ، ان اجوز الامتحان ، لئلا اخسر ، ان تخلفت عنه بسبب المرض ، عاما من حياتي الدراسية ، ومضيت الى المدرسة مريضا ، والحمى تستبد بجسمي المرتجف الواهن ، ولم اكد ادخل قاعة الامتحان حتى الت بي البرداء ، وكان استاذي المحاسني قريبا من المنصة ، فخف الي وامسك بساعدي ، متألما ، بادي الاسف ، واجلسني على مقعدي ، وجعل يغدو ويجيء ، يجس بيده الحنون جبيني المضرم ، واذكر ان سؤال الانشاء في الامتحان كان آنذاك :

(قال نابليون : ان كلمة مستحيل ، غير موجودة في قاموسي . ماذا توحي لك هذه الكلمة الطموح ؟)

وامام لداتي العاكفين على اوراقهم يملأون بياضها باقلامهم الغضة المتوثبة قال لي معلمي المحاسني بصوته الجهوري :

ــ بديع ، كنت الاول في الصف ، وستبقى دوما ، لا اطلب منك سوى سطرين ، سطرين فحسب وستبقى علامتك هي هي ، لا تتغير ١٨ على ٢٠ .

وكان الحمى المتلظية والنشوة التياهة بالكلمة المشجعة قد ائتلفتا لاكتب صفحتين ، واستاذي المحب المشفق ، يدور حول مقعدي وامارات القلق تشيع في وجهه السمح ، ثم يمد راحته الى جبيني المتضح بعرق الحمى ، ونظرته الرقيقة تنثال حنانا ، ثم يحملني بصوت عذب على الاجتزاء بما كتبت .

لا ، لا ، لا انسى ، ما عشت ، هذه النظرة الطيبة ، انها هي هي نفسها التي حبت ، فيما بعد على ورقة الامتحان ، تنساب فيها كلماتي الهادرة المتقدة المواكبة لنبضات الحمى العاتية .

لا اذكر ، الان ، ما كتبت ، فلم يبق في ذهني المتأجج سوى ذلك السؤال ، فلعل ما سطرته ان يكون اجود ما املته الحمى القاسية الحامية ، ومن يدري ؟ لعله كان هذيانا اوحت به حرارة المرض .. ولكنني اذكر ان العلامة التي نلتها لم تكن ١٨ على عشرين بل ٢٠ على ٢٠ . وهي علامة ما كنت لاطمح الى ان اظفر بها لو لم اكن مريضا بالحمى ولو لم يكن معلمي المحاسني ذا القلب الكبير النبيل .

وقد ظل رحمه الله يذكرني بهذه الحادثة ، فيما بعد ، ممازحا ، معابثا ، مرددا :

ــ اسعفك الحظ فمرضت ، لتنال العلامة التامة ، ولكن ، لا تنس ، ان تسجلها في مذكراتك ، ان شئت ان تكتب عن معلمك القديم .

وان الدمع ليغيم في عيني ، الان ، وانا اغزل خيوط هذه الذكرى واحياها من جديد ، لاتمثل استاذي ، يمد راحته الحنون الى جبيني المتقد الندي ، ونظرته الرفيقة ، تتطامن ، ريا بالاشفاق والمحبة والحنان .

وتمضي الايام ، ويصدر استاذي المحاسني اول كتبه « النواسي شاعر من عبقر » وهو من احسن الدراسات التي كتبت عن ابي نواس . ففيها فهم عميق واستجلاء لعبقرية الشاعر ، وفيها يتجلى منهج حديث مبتكر في البحث والدراسة . وكان على التلميذ المحب ان يكتب مقالا ضافيا ، في احدى المجلات الدمشقية منوها بهذا الكتاب القيم ، محللا ، ناقدا ، منصفا .

اذكر الان بسمته التي برعمت على شفتيه ، حين التقى بي ليجلو لي شكره للكاتب الناشيء وفخره به ، ويقول لي : الم اقل لك انك سوف تضحي كاتبا .

وتكر الاعوام واشهد ، ذات مرة ، حفلا ، القى فيه استاذي المحاسني قصيدة رائعة مؤثرة عن امه رحمها الله ، وكان رحمه الله بارا بها حفيا بذكراها . فلم يكد ينتهي من القائها حتى هنأته مصافحا ، ثم مضينا معا ، وكان بيده برعم ورد ، فأعطانيه ، وجعل يتحدث لي عن امه بصوت راعش تخنقه العبرة . اجل انه مثلي . مات ابوه ولم يكن يجاوز خمس سنوات ، فتعهدته امه ــ كما تعهدتني امي ــ بالرعاية والمحبة .

وكان علي ، ان احتفظ ببرعم الورد ، في دفتر صغير يضم سوانح خواطري ، ليخلد بين صفحتين منه ، الى اغفاءة ، طويلة ، طويلة ، مدى ثلاثين عاما .

ولكن صلات الود بيني وبينه لم تنقطع قط ، قمت بزيارته في القاهرة ــ وكنت في طريقي الى باريس ــ وكان يهيء آنذاك شهادة الدكتوراه في الادب العربي ، واذكر انه قال لي : هأنذا عدت طالبا مثلك ، احسب اننا سنظل طلاب علم عمرنا كله .

وكانت مؤلفاتي ــ على قلتها ــ تتخذ سبيلها اليه ، جدولا صغيرا ينكفيء الى النهر الزاخر الذي فصل منه ، فلعل الكثير مما جرى به قلمي قد صقله وهذبه ورعاه استاذي المحاسني ، وانه ليعود اليه ليظفر منه بالتشجيع الصادق .

وكانت مؤلفات استاذي تتخذ سمتها الي ، ومنها ما تناهى الي ، في غربتي القصية ــ مع اهداء لطيف يجمله على مألوف عادته بابيات من شعره ــ وكذلك تلقيت في الجزائر ، مؤلفه عن استاذه عبد الوهاب عزام رحمه الله ، ليؤكد لي معنى وفاء الطالب المحاسني لاستاذه الراحل .

وعدته في مرضه الذي اسلمه الى الموت ، ورأيت وجهه الشاحب الهضيم ، اين ذلك الشباب الزاخر الفياض الذي كان يملأ عطفيه قوة واندفاعا وحماسا ؟ ولكن الابتسامة المستبشرة ، ابتسامة الطفلة ، تظل هي هي ،

على الهاتف

وانساب صوتك حالما	عبر المسرة يا « هناء »
صوت كاسمى ما يروم الحب	مخضل النداء
فعرت كياني رعشة	وعلى فمي طيب اشتهاء
ماذا اقول وكل ما	حولي يزغرد بالهناء
من بعد ما كانت حياتي	نهب اشباح الفناء
يا صوتها النشوان يا	همس الملائك في السماء
يا لثغة الطفل الغرير	منعما حلو الرواء
يا ثورة الاشواق في	ليل اللذائذ والفناء
يا صوتها يا موقظا	في خافقي طيف الرجاء
غرد ، فقلبي هائم	يهفو لاحلام اللقاء

بغداد — عبد الخالق فريد

بريئة نقية متصلة بشفتيه ، تتوثب معانيها الى عينيه لتبدو للناظر تبتسمان له بنور داخلي .

وكانت زوجته الكريمة ، الاديبة الكبيرة السيدة وداد سكاكيني ، الى جانبه ، تتعهده بحنانها وعنايتها واخلاصها ، واذا الحديث بيننا ، يتشقق فنونا ويتفطر الوانا من الادب الشهي ، طوال ساعتين .

وازى اليه يسعى ، متحاملا على نفسه في خطا وئيدة متمهلة ، الى غرفة مجاورة ليعود الي بعد قليل ، بنسخة من مؤلفه الاول « النواسي شاعر من عبقر » في طبعته الجديدة ، ويتسلسل اهداؤه الي بهذه الابيات :

بديع حقي لـه في الفن ابداع
وهمس اقلامه في الدهر اسماع
الشاعر الناثر الراوي وزاد بها
سياسة ، فلكل عنده بناع
وضعت ، في صرحه يوم الصبا لبنا
فراح في عبقره ، يعليه اجماع

بلى ، وان اللبن التي وضعها في صرح صباي ، لقائمة استند اليها واعتمد عليها ، في طريقي الممتدة امامي ، منذ عفرة صباي حتى الان .

واغادر استاذي ، وانا لا اعلم انني لن اراه بعد الان ، وان الله سوف يختاره الى جواره بعد ايام ، وان كلماته الحلوة المشجعة سوف تنطفىء في سمعي ، ولكن معانيها تظل موصولة بحنايا قلبي ، لا ، لا لن اجتمع اليه ، الا في مستقر رحمة الله .

الطريق الى المقبرة الجاثمة في سفح جبل المهاجرين ، صاعدة ملتوية . ههنا يرقد استاذي المحاسني في قبر واحد مع امه المرحومة سارة التي كان يحدثني عنها ، دامع العين ، راعش الصوت ، تضم بين ذراعيها الرفيقتين ابنها الطفل الحبيب البار .

وتنتصب شاهدة القبر ، وتستشرف دمشق المدينة الخالدة التي احبها واحبته ، مطلة عليها جبهة ابية ، باذخة من حجر .

واقرا الفاتحة على روح استاذي ، والى جانبي ابنه العزيز ذكوان ، وفي عيني يعربد الدمع وتمتد راحتي الى محفظتي لاستل منها برعم ورد جفت افوافه وذوت ، برعم الورد الذي منحنيه معلمي منذ ثلاثين عاما ثم خلد الى اغفاءة طويلة قريرة في دفتري الصغير ، امدا طويلا ، ولكن اريج الذكريات ما يزال عابقا فاغما فيه .

وانساقت نظرتي الغائمة المبتلة ، الى قبره تتوزع الزهور اليانعة على جنباته ، ومثل في خاطري ان راحة معلمي تعطو الى الزهر الفواح ، لتقطف منه زهرة ناضرة وتهبها لي ــ كما وهبت لي برعم ورد منذ ثلاثين عاما ــ ثم تمتد الى جبيني ، في لمسة رفيقة حادبة .

وبدا لي ، في منسرح الوهم ، انني عدت ذاك الفتى الذي يجوز الامتحان ، وحمى البرداء تهز جسمه هزا ، وان راحة معلمي الحبيب تنحو الى جبيني المنتضح بعرق الحمى ، لتجسه وتحمل الي هناءة وطمأنينة سابغة .

اجل ، ها هي ذي نظرتي المتنة تشخص الى عل ، لتلتقي من وراء الغيب ، بنظرته المشفقة الشفافة المنحدرة من عينيه الباسمتين ، وانعم ــ كما نعمت في فجر صباي ــ بشهد المحبة ودفء الحنان .

دمشق — بديع حقي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبدا ابن حزم في تعريف ماهية الحب ، انه اتصال بين اجزاء النفس المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع . وهذا هو رأي افلاطون في ان النفوس جواهر بسيطة تسكن عالم الافلاك ، كما ان النفوس عند ابن حزم مقسومة ، وان سبب امتزاجها واختلافها ، هو الاتصال والانفصال . يقول ابن حزم : ان سر التمازج والتباين في المخلوقات ، انما هو الاتصال والانفصال ، والشكل دائما يستدعي شكله ، والمثل الى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس ، وتأثير مشاهد ، والتنافر في الاضداد ، والموافقة في الانداد ، والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا ، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف ، وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل ، وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار (١) .

تتضح لنا من الفقرة السابقة ، افلاطونية ابن حزم ، عندما يعتبر ان النفس هي التي تميل وتتوق وتنحرف وتنفر ، فهي عنده المحركة للجسد . كما ان علة الحب عنده ، هي الروح وليس الجسد ، فهو يقول : لو كان علة الحب الصورة الجسدية ، لوجب الا يستحسن الانقص من الصورة (٢) . والحب عنده ليس اتفاق اخلاق فقط ، وانما قد يحب المرء من يضاده اخلاقا ، فيشير ابن حزم لذلك : ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لا يساعده ولا يوافقه .

الصورة الحسنة ، كما يرى ابن حزم ، اول مراحل الحب ، لان النفس حسنة تعجب بكل شيء جميل ،ولكن ابن حزم يضيف بان النفس اذا بقيت مقصورة على الصورة الحسنة ، فهذه هي الشهوة ، واذا ميزت وراء

أمن عالم الاملاك انت ام انسي … ابن لي فقد ازرى بتمييزي العي
ارى هيأة انسية غير انه … اذا اعمل التفكير فالجرم علوى
تبارك من سوى مذاهب خلقه … على انك النور الانيق الطبيعي
ولا شك عندي انك الروح ساقه … الينا مثال في النفوس اتصالي
عدمنا دليلا في حدوثك شاهدا … نقيس عليه غير انك مرئي
ولولا وقوع العين في الكون لم نقل … سوى انك العقل الرفيع الحقيقي

ويقول ايضا : (٤)

ترى كل ضد به قائما … فكيف تحد اختلاف المعاني
فيا ايها الجسم لاذا جهات … ويا عرضا ثابتا غير فان
نقضت علينا وجوه الكلام … فما هو مذ لحت بالمستبان

وكما ان الحب عند افلاطون ، جميل وكريم وشجاع ، كذلك ابن حزم يذهب قائلا : ومن علامات الحب ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه ، مما كان ممتنعا به قبل ذلك ، كأنه هو الموهوب له ، والمسعى في حظه ، كل ذلك ليبدي محاسنه ، ويرغب في نفسه ، فكم بخيل جاد ، وقطوب تطلق ، وجبان تشجع (٥) .

ويصف ابن حزم من احب في النوم ، ويتخيل حبيبه ، ويتمناه ، في ابيات شعرية ،تتجلى فيها الفلسفة والتعابير الافلاطونية : (٦)

يا ليتشعري من كانت وكيف سرت … اطلعة الشمس كانت ام هي القمر
اظنه العقل ابداه تدبره … او صورة الروح ابدتها له الفكر
او صورة مثلت في النفس من امل … فقد تخيل في ادراكها البصر
او لم يكن كل هذا فهي حادثة … اتى بها سببا في حتفي القدر

ابن حزم لا يؤمن بالحب من اول نظرة ، وانما لا بد

(١) ابن حزم : طوق الحمامة ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٦ .
(٢) طوق الحمامة ص ٦ .
(٣) افلاطون : المادبة ، ترجمة وليم الميري ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٦٠ .
(٤) طوق الحمامة ص ١٠ . (٥) طوق الحمامة ص ١٣ .
(٦) طوق الحمامة ص ٢٠ .

من الملازمة والمطاولة بين المحب والمحبوب ، حتى تمتزج نفساهما وتنعجن انعجانا لا فكاك منه ، ويستطرد انه يؤمن بالمطاولة في حب كل شيء ، الصدق والعلم والمركوب والمطعوم . وهذه الفكرة تذكرنا بآراء افلاطون ، بان الحب والجمال والاخلاق والفضيلة والعلم ، لا تقوى الا بالممارسة .

اما الاراء الافلاطونية ، التي تقول ان النفوس جواهر خفيفة ، تسكن عاليا ، وعندما تمتزج بالجسد ، يغمرها حجاب الجسد ، وتشغلها المطالب الجسدية ، ولا تتخلص من هذا الكهف ، الا بالاطلاع على المعرفة ، يعبر ابن حزم عن ذلك بقول مشابه : ان الحب هو اتصال بين في اصل عالم النفس العلوي ، وان النفس في هذا العالم الادنى قد غمرتها الحجب ومحقتها الاغراض ، واحاطت بها الطبائع الارضية الكونية ، فسترت كثيرا من صفاتها ، وان كانت لم تحله لكن حالت دونه ، فلا يرجى الاتصال على الحقيقة الا بعد التهيؤ من النفس والاستعداد له ، وبعد ايصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافقها ، ومقابلة الطبائع التي خفيت مما يشابهها من طبائع المحبوب ، فحينئذ يتصل اتصالا صحيحا بلا مانع (٧) . وعند افلاطون ان الحب غير مخجل ، وان الحب الصريح انبل من الحب المستور ، ويجب ان لا نعيب على من يقتفي اثر محبوبه ، بل نمدح له ذلك ، ونمدحه عليه ، لان المحب يتوسل الى محبوبه ويخضع له ويتضرع ، ويلزم باب محبوبه ، ويرضى لنفسه عبودية بغيضة ، وليس في كل هذا ما يشين ، ويجب الا نخجل من تصرفه لاننا نعلم الغاية التي يرجو تحقيقها (٨) . نرى ابن حزم يعبر عن ذلك شعرا : (٩)

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيه يخضع المستكبر
لا تعجبوا من ذلتي في حالة قد ذل فيها قبلي المستبصر
ليس الحبيب مماثلا ومكافيا فيكون صبرك ذلة اذ تصبر
تفاحة وقعت فآلم وقعها هل قطعها منك انتصارا يذكر

وهكذا يستمر ابن حزم متحدثا عن الحب وفنونه . وكما ان الحب عند افلاطون شاعر ونبيل وعفيف ومرهف الحس يحب الرقة ، والحب دائما يحب الشباب لانه شاب ، وكما ان الحب عند افلاطون يحب التضحية والخير ويسعى الى كل فضيلة انسانية . كذلك يرسم ابن حزم في اكثر فصول الرسالة ، ان اهداف الحب هي غرس الفضيلة عند المحبين ، لتسمو طبائعهم ويبتعدوا عن لذائذ الشهوات الجسدية . كذلك تتخلل الرسالة كثير من الابواب التي ترمي الى الفضيلة ، كالوفاء والخير ، ويأتي ابن حزم بامثلة كثيرة على التعفف في الحب ، ويطلب كثيرا من المحبين ان يكونوا عفيفين .

واذا كان افلاطون قد قال ان الحب شاعر ، لان من يحب يقول الشعر ، حتى لو انه ينظم بيتا واحدا من قبل ، فان ابن حزم ، رغم انه يأتي بالتعابير الرقيقة ، والجمل الشعرية الخلابة ، فانه يقول الشعر في اكثر صنوف الحب ومراميه ، وتمتليء الرسالة بكثير من شعره الرقيق .

جامعة بغداد **ناجي التكريتي**

---

(٧) طوق الحمامة ص ٢٦ . (٨) المادبة ص ٣٨ . (٩) طوق الحمامة ص ٤٤ .



حب ابن ابي ربيعة

تاليف الدكتور جبرائيل جبور ـ الجزء الثالث ـ ٦١٦ صفحة ـ من القطع الكبير ـ بيروت ١٩٧١

مؤلف هذا الكتاب استاذ جليل ، وفي غنى عن التعريف ، فقد سبق له ان اخرج العديد من الابحاث والكتب ، وساهم في النشاط الادبي والعلمي في دنيا العرب ، كما تخرج عليه طلاب كثيرون من مختلف الاقطار العربية مما برر له ان يهدي الكتاب الذي بين ايدينا الى « طلبته في دنيا العرب » . وقد ظهر هذا الجزء الاخير في العام الماضي، وقد كان الجزء الاول قد ظهر سنة ١٩٢٥ والثاني سنة ١٩٣٩ ، مما حدا بالمؤلف ان يعتذر عن طول المدة التي تفصل بين هذه الاجزاء الثلاثة ، وذلك بسبب انشغاله بالعمل في كتب اخرى « كانت اجدر بالتفات اليها » وقد ذكر اسماء تلك الكتب ووصفها بانها « تستحق العناية والاهتمام » .

وجدير بالذكر ان المؤلف قد كرس جهوده منذ فجر شبابه لخدمة التراث والفكر العربيين ، فقد ساهم في نشر كتاب « الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة » لمؤلفه نجم الدين الغزي ، وهو يقع في ثلاثة اجزاء ، كما ساهم في ترجمة ونشر تاريخ العرب المطول لمؤلفه الدكتور فيليب حتي ، واشرف على ترجمة تاريخ سورية ونشره في جزئين وله دراسة مستفيضة عن العقد الفريد ومؤلفه ابن عبد ربه نشرها في كتاب تحت عنوان « ابن عبد ربه وعقده » ، هذا مع ما نشره من ابحاث ومقالات في مجلات « الابحاث » و « المقتطف » و « الهلال » وغيرها ، وابحاثه وكتبه تتسم بالاصالة والدقة والعمق على وجه العموم .

ان اهمية الكتاب الذي نحن بصدده لا تعتمد على ضخامة حجمه او كثرة عدد صفحاته التي جاوزت الالف باجزائه الثلاثة بل في وصوله الى مجموعة من الحقائق ومناقشته لامور تمس حياة الشاعر ، والتي لم يتيسر للباحثين قبله الوصول اليها ، او مناقشتها على الطريقة التي سلكها ، ذلك ان الشاعر بالرغم من ان اكثر من دراسة وضعت عنه ، فقد احس المؤلف ان هنالك جوانب من حياته وشعره ما تزال في حاجة الى الدرس والاستقصاء ، وقد اورد المؤلف قسما من ذلك في الجزئين الاول والثاني نشير الى امثلة منها كاخبار لهوه (١٢٠ ـ ١٢٦) وخبر موته (١٩٦ ـ ٢٠٣) من الجزء الثاني ، وغيرهما من الامثلة التي تصلح ان تكون نماذج للباحث العلمي .

ولقد ساهم عدد من المؤلفين والكتاب في البحث عن شعر عمر وحياته ، وكان منهم الاصفهاني في « اغانيه » حيث خصص معظم الجزء الاول بما يقارب المائتي صفحة للحديث عن الشاعر المستشرق الانجليزي بلجريف ، والمستشرق الالماني روكرت الذي عد عمر « اعظم شاعر في الغزل عند العرب » والمستشرق الالماني شفارتز الذي جمع ديوانه ونقل بعض قصائده الى الالمانية وكذلك المستشرق الانجليزي نيكولسون في كتابه « تاريخ العرب الادبي » حيث جعل زعامة شعر الغزل في الادب العربي الى عمر بن ابي ربيعة .

اما الكتاب المعاصرون من العرب فان الدكتور طه حسين قد خصص اكثر من فصل من كتابه حديث الاربعاء الى عمر وكتب الدكتور زكي مبارك « حب ابن ابي ربيعة » وكتب العقاد كتابه « شاعر الغزل » وغير هؤلاء من الكتاب الذين تناولوه ضمن ابحاثهم وكتبهم ومن الصعوبة ان نستقصيهم في هذا المجال الضيق ، ولكننا نستطيع ان نؤكد ان دراسة الدكتور جبرائيل للشاعر عمر قد اخذت مكان الصدارة بين هذه الدراسات .

ولاجل بيان اهمية كتاب الدكتور جبور لا بد من الاشارة الى هذه النقاط :

١ ـ ان المؤلف بعد البحث والجهد الذي استغرق منه سنوات طوالا قد كشف لنا عن الكثير مما كان ضائعا من الشعر لهذا الشاعر ، وقد فات ذلك على العلماء الذين بذلوا جهودهم لجمع قصائد الشاعر من امثال المستشرق الالماني شفارتز الذي نشر الديوان في اربعة اجزاء عام ١٩٠١ ـ ١٩٠٩ ، ونستطيع القول ان القصائد والمقطوعات والابيات التي عثر عليها الدكتور جبور في مظانها ستضيف شيئا غير يسير من الشعر الى تراث ابن ابي ربيعة ، ونامل ان تظهر في الطبعة الجديدة للديوان .

٢ ـ يشير المؤلف الى أياد عبثت بديوان الشاعر ، واملها ايادي النساخين ، فنسبت ابيات لعمر وهي ليست لـه ، كما نسبت بعض ابياته الى غيره من الشعراء ، وقد سها المستشرق الالماني بول شفارتز فضمنها ديوان الشاعر ناسبا اياها اليه ، والمؤلف الدكتور يشير اليها في مظانها منبها عليها ، وقد افسح لها مجالا واسعا لكثرتها .

٣ ـ يتبين المؤلف اهمية شعر عمر في معرفة اسماء الكثير من المواضع الجغرافية التي كان الشاعر يتردد عليها ، وقد جاوزت المائتي موضع ، عدا اسماء المدن ، فيما وراء الحجاز كمدن والجند وبصرى وبابل والبصرة وغيرها ، حتى اصبح شعر عمر مصدرا في هذا الباب ، ومعجما يفيد في ضبط اسماء هذه الاماكن ، وقد استشهد به الجغرافيون في مواضع كثيرة لا سيما صاحب معجم البلدان ، وصاحب معجم ما استعجم ، ولكي يسهل المؤلف عملية البحث عن هذه الاسماء، فقد وضع جدولا بها حسب الحروف الهجائية مبينا موقعه من كل قصيدة ورد فيها مستثنيا ما هو مشهور كالمحصب ومنى والصفا وامثالها .

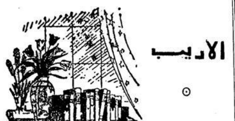
٤ ـ وقد عنى المؤلف في بيان اهمية شعر عمر كمصدر للغة الحجاز ، ذلك ان فيه كثيرا من التعابير والالفاظ الخاصة التي يستعملها الحجازيون في حياتهم العامة ، والتي تكلم بها المراة على وجه الخصوص ، ويورد نماذج متعددة لذلك ، ويشير الى ما يسمى عند النحاة لغة « اكلوني البراغيث » وهي نوع من الشذوذ يقربها الى العامية ، ويذكر قول الشاعر :

رأين الغواني الشيب لاح بناظري فاعرضن عني بالخدود النواظر

كما يستعمل الفاظا دارجة في لغة الحجاز منها « ماآن وملحب وملاشياء » بمعنى « من الآن ومن الحب ومن الاشياء » ويستعمل « المخبري » بمعنى الذي اخبرني و « السائلنا والمبلغك الحديث » ولا تستعمل هذه الالفاظ بهذه الصور الا عند اهل الحجاز ، ويعزز قوله بالادلة الكثيرة .

٥ ـ لقد كان شعر عمر صورة لا لحياته فحسب ، بل لعصره ومجتمعه والبيئة التي نشا فيها ، وقد نجح المؤلف ببيانه الرابع ان يعرض ذلك عرضا يثير الشوق والاهتمام ، واشار الى ان شعر عمر يمكن ان يعتبر من اهم المصادر لدراسة الحياة الاجتماعية لذلك العصر الذي عاش فيه ، ولعل ابرز مظاهره ذلك الترف الذي انغمست فيه

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت – لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

الطبقة الفنية ، وشاع بين عدد غير يسير من الناس ، وقد نالت المرأة – شأنها في كل العصور – القسط الاوفر منه فتزينت بالحلى وتمتعت بالحياة الناعمة ، ونالت من الحرية القسط الوافر ، كما هو واضح في ابيات كثيرة للشاعر ، فقد كانت مواسم الحج التي يشارك فيها النساء والرجال ، وكثيرا ما كان للحسناوات من بنات الطبقة الفنية نصيب وافر من الترف الذي يتمثل في مواكبهن ، فكانت كل واحدة تنافس الاخرى فيما لديها من جوار وحلى وملابس ، وكان الشاعر ينتهز الفرصة في هذه المواسم ليعرض لهن ، ويبعث بقصائده اليهن ، وكان كعادته يصرح باسماء فريق منهن ويكنى باسماء الفريق الآخر خشية العقاب من السلطان .

٦ – ناقش المؤلف رأي الدكتور طه حسين الذي ذهب الى القول ان الشاعر ، كان يحب بحسه ، فلم يتفق معه بل ذهب الى القول ان عمر كان يحب بعقله وقلبه وحسه ولسانه ، وان هناك « تفاوتا في شعره بين الواحدة والاخرى من النساء » وان شعره « يقسم الى اقسام يمثل كل منها لونا من الوان الحب » ، كما لم يتفق المؤلف مع الدكتور زكي مبارك الذي ذهب الى القول لم يكن ليحب بقلبه وانما بعقله ولسانه ، ودلل على ذلك بتعدد محبوباته وكثيرون هم الذين تعرضوا الى نزاع في نفوسهم من جراء ذلك » .

وبعد فهذه لمحة عابرة من كتاب يعد في القمة مما كتب عن الشاعر عمر بن ابي ربيعة وعصره ، وقد دلل المؤلف – كما هو شأنه في كتبه الاخرى وابحاثه – على قدرته الفائقة على البحث والتحليل والاستقصاء ببيان مشرق ، واسلوب عربي مبين .

جامعة بغداد حبيب علي الراوي

●

ابن سعيد المغربي

تأليف محمد عبد الغني حسن – ٢٠٨ صفحة – قطع متوسط – الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصية متعددة المواهب هي شخصية ابن سعيد المغربي الذي ولد في القرن السابع الهجري في الاندلس لاب من كبار الادباء ومحبي الكتب هو موسى بن سعيد ، فكان اديبا ومؤرخا وشاعرا ونقادة ورحالة وجغرافيا وراوي سير ، وكان رجلا اجتماعيا كيسا يحب النكتة ويسوقها نثرا وشعرا ، كما كان كبير الحفاوة باخبار معاصريه ، فدون منها ما يربي على ١٥٠ سيرة ، وملأ كتبه الثلاثين ، ما نشر منها وما فقد ، بنظراته التي تطلق اضواء ساطعة على عصره وعلى البلدان التي زارها في الاندلس وافريقية وبلاد الشام والعراق وارمينية والحجاز وغيرها .

وقد انبرى الاديب المكين الاستاذ محمد عبد الغني حسن لتسجيل سيرة هذا الرحالة المؤرخ الاديب عندما تبين من مطالعاته الواسعة عميم فضله وما يقابل ذلك من قلة اهتمام بسيرته وحياته وآثاره . فعكف على استخلاص سيرته من ثنايا الكتب ، متحريا الدقة في الرجوع اليها حتى لا يقع في اوهام سابقيه ، فاستطاع ان يستصفي من الشذرات المتناثرة والاخبار المتفرقة والاشارات العارضة والملاحظات السريعة ، سيرة مستوفية لحياة ابن سعيد المغربي في اطار من حياة الجماعة وفي ضوء من التحليل العلمي والذوق الادبي السليم .

فقد اختلف الرواة في تاريخ ميلاد المغربي ، واختلفوا في تاريخ وفاته ومكانها ، واختلفوا في اسماء الولاة والساسة الذين التقى بهم في حياته ، واختلفوا في تعيين الكتب التي الفها وفقد معظمها ، ومن ثم

كانت مهمة محمد عبد الغني حسن جد مستعصية في تحقيق كل تاريخ وواقعة واسم ، وفي تبديد الاوهام التي لـــم يسلم منهـــا الباحثون القدامى والمعاصرون .

ثم كان على محمد عبد الغني حسن ان يتابع المغربي منذ نشاته، فحدثنا عن مجتمعه وعن اساتذته الذين اخذ عنهم وعن الحياة الفكريـة السائدة في ايامه ، وعن زملائه واصدقائه في ديار الاندلس والمغـرب وعن الولاة الذين اتصل بهم وعن والــده وتأثيره في شخصيته وعـن رحلاته ثم عن كتبه وموضوع كل منها ومنهاجه كمؤرخ ونظرياته كناقـد للشعر ، واسلوبه كأديب ناثر وطبقته كشاعر وطريقته كمترجم ، فضلا عن نماذج من شعره ونثره ، وكل هذا ابرز الملامح الدقيقة لشخصية ابن سعيد المغربي على نحو لم يتأت مـن قبـل للذين اوجزوا سيرته او اقتصروا على اخبار منها مبتورة اوردوها في سياق دراساتهم الاندلسية او المغربية .

وللمغربي رأي طريف في طبقات الشعر ، مؤداه ان الناقد انمـــا يحكم على الشعر بناء على درجة انفعاله به . فاعلى طبقات الشعر في ملته هو ما كان مرقصا . وتليها طبقة الشعر المطرب فالمقبول والمسموع والمتروك . وهي طبقات اشبه ما تكون بتقديرات الامتحانات التي تبدأ بدرجة ممتاز وتتدرج الى جيد جدا فجيد ، وتنتهي بمقبول فمختلف.

ومن عجائب التاليف ان كتاب « المغرب في حلـــى المغرب » قـد استغرق تاليفه مئة وخمسة عشر عاما ، وان ستة مـن أهـل الاندلس منهم المغربي اشتركوا في وضعه جيلا بعد جيل . ويقع هذا الكتـــاب الفريد في قسمين ، قسم اندلسي وقد نشر في جزءين بتحقيق الدكتور شوقي ضيف وقسم مصري وقد حقق جزء منه بعناية المرحوم الدكتور زكي محمد حسن وقرينته الدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف والدكتور شوقي ضيف .

واذا كان حظ ابن سعيد المغربي تاعسا لدى المؤرخين والمترجمين الذين تعددت رواياتهم في كل واقعة من وقائع حياته ، فقد كان حظـه في الكتب التي خلفها اشد تعسا ونحسا ، لان قلة قليلة منها هي التي حققت وطبعت ، اما سائر كتبه فقد بقي مخطوطا او نشر نشرا ضعيفا او فقد تماما كما فقد ديوان شعره . ولمؤلفات المغربي ، فوق قيمتهـا الادبية ، قيمة اخرى هي انها اشتملت على طائفة كبيرة مـن العبارات المنقولة من كتب معاصرة فقدت ، فلكان المغربي بذلـــك صان تراثـــا منهوبا ثم لم يسلم هو نفسه من النهب .

وقد استصوب الاستاذ محمد عبد الغني حسن ان يطعم كتابـــه ببعض المستطرفات والنكات ، ما كان منها نثـــرا او شعرا ، حتـــى تستضيء شخصية المغربي من جهة ، وحتى تكون قراءة ترجمته باعثـة على المتعة فضلا عن الفائدة الادبية . ولكنه بحكم تقسيم كتابه الـــى فصول يتداخل بعضها في البعض الآخر ، اضطر الى تكرار بعض الامور، كتكراره ان المغربي كان يضيق بالحمير وبالغبار في الجو ثلاث مرات في فصول شتى ، ولعل مرة واحدة كانت كافية .

وفي اعتقادنا ان الاديب الذي وفق توفيقا بارعا في اجـــلاء سيرة « المقري » صاحب كتاب « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب » ، قد كان خير مترجم للمغربي صاحب « المغرب في حلى المغرب » ، وكلاهما من انفس الكتب الادبية واجلها قدرا .

القاهرة — وديع فلسطين

•

الكميـــت

تاليف الدكتور محمد حاج حسين ـ ٣١٢ صفحـــة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطابع الاداب والعلـوم بدمشق

أهدى الي الصديق الوفي والاديب الالمعي الدكتور محمد حاج حسين كتابه النفيس « الكميت » والكميت شاعر الهاشميين من أهل الكوفة وهو ابن زيد بن خنيس الاسدي وكنيته ابو المستهل ويعد من الشيعة المعتدلين يدلنا على ذلك قوله :

أهوى عليـــا أمـير المؤمنين ولا ... أرضى بشتم أبي بكر ولا عمـرا
ولا اقول وان لـــم يعطيا فدكـا ... بنت النبـــي ولا ميراثه كفــرا

وقد ولد سنة ٦٠ هـ (٦٨٠) م وقتل سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤) م واشتهر في العصر الاموي وكان عالما بلغة العـــرب وآدابها واخبارهـــا وانسابها وهو من الثقات علما ورواية واكثر شعره في مدح بني هاشم وقد مدح ايضا الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك ليصفح عنه ممـــا اقترفه من هجاء الامويين كما انه مدح مسلمة بن عبد الملك ومسلمة بـن هشام وخالد بن عبد الله القسري وغيرهم من امراء بني أمية .

وقد ورد بعض شعره في الاغاني والشعـــر والشعراء والبيـــان والتبيين وغيرها من الكتب الادبية وطبع من شعره على حدة « القصائد الهاشميات » وهي ست قصائد وخمس مقطوعات نشرها في مصر وشرحها الاستاذ شاكر الخياط النابلسي الازهري باشراف العلامـــة اللغـوي الشنقيطي الكبير وطبعت ايضا في (ليدن) سنة ١٩٠٤ ولها شرح وقـد ترجمت الى الالمانية كما جاء في كتاب الاعلام للاستاذ خير الدين الزركلي وروي الاصبهاني في كتابه الاغاني ان للكميت (٥٢٨٩) بيتـا قال عنه ابو عبيد : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان . وقيل عنه اجتمعت في الكميت خصال لم تجتمع في شاعر كان خطيب بني أسد وفقيه الشيعة وفارسا شجاعا سخيا راميا لم يكن في قومه ارمى منه ويقال انه توسع بعلوم اللغة وآدابها واخبار العرب اقتباسا مـــن جدتين لـــه ادركتا الجاهلية .

وكانت بينه وبين الشاعر الطرماح صداقة متينة عـــلى اختلاف المذهب والنسب فقد كان الكميت شيعيا مضريـــا والطرماح خارجيـــا قحطانيا والكميت من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمته :

ألا لا أرى الايام يقضى عجيبهـــا ... بطول ولا الاحداث تفنى خطوبهـــا

وتبلغ ثلاثمئة بيت كما في الاغاني ذكر منها خمسة وخمسون بيتـــا في كتاب جمهرة اشعار العرب لابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي.

وله قصيدة مذهبة في هجاء اليمانية ومطلعها : ألا حييت عنـــا

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية
بالاضافة الـى العرض الدائم لاحدث مجـلات
الازيـاء والموضة الاوروبيـة
تجدونـه فـي
مكتبات أنطوان
فرع شارع الامير بشير ـ بيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا مدينا : لم يدع فيها حيا من احياء اليمن الا هجاهم وبسببها حقد عليه خالد بن عبد الله القسري فأوغر صدر هشام بن عبد الملك فأمر بحبسه وقطع لسانه وقتله ولم يحصل الكميت على عفـو الخليفة الا بعد لاي ووساطة قوية واستجارته بقبر معاوية بن هشام .

بعد هذه النبذة عن حياة الكميت أعود الى كتاب المؤلف الفاضل ودراسته الممتازة لاخبار الكميت وشاعريته فقد ذكر بعد مقدمة موجزة ومنهجه في الدراسة والمصادر التي استقاها بيئة الكميت وبلدته الكوفة واورد معنى الكوفة لغويا وهو الرملة الحمراء او المستديرة وقال ان سعد بن ابي وقاص اختطها بعد فتحه القادسية سنة (١٥) او ١٧ هجرية وفصل سبب تاسيسها وتحدث عـن شخصيتها السياسيـة والاجتماعية وما كان لها من اهمية في التشيع والجدل الديني والعلمي ومن أثر بارز في توطيد اللغة العربية وصونها من الضياع وتدوين اشعار العرب واخبارها بواسطة رواتها الحصفاء كحماد الراويـة والمفضل الضبي وغيرهما . وتحدث عن انشائها مذهبا خاصا لها في النحو يضارع مذهب البصرة وكان زعيم نحاة البصرة سيبويه وزعيم نحـاة الكوفـة الكسائي وقد جرت بينهما مناظرة نحوية مشهورة لم يشر اليها المؤلف كما انه لم يذكر ان للكوفة اسما ثانيا هو « خد العذراء » كما في معجم البلدان .

وتكلم في الفصل الثاني عن شخصية الكميت وثقافتـه ونشأتـه وعصبيته للعدنانية على القحطانية واشتهاره بالتشيع المعتدل منـذ حداثته واخلاصه لآل البيت ومدحه لهم واورد المؤلف ان الكميت انشد علي بن الحسين رضي اللـه عنهمـا قصيدتـه المثبتة في ديوانـه « الهاشميات » وهذا مطلعها :

مـن لقلـب متيم مستهـام ... غيـر مـا صبوة ولا احـلام

فقال علي بن الحسين اللهم اغفر للكميت واعطاه منه ومن اهـل بيته اربعمئة الف درهم . وقد جاء في الاغاني خلاف ذلك وهـذا نص عبارة الاصبهاني : « حدثني صاعد مولى الكميت قال دخلنا على ابي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فانشده الكميت قصيدته التي اولها : من لقلب متيم مستهام : فقال اللهم اغفر للكميت اللهم اغفر للكميت قال ودخلنا يوما على ابي جعفر محمد بن علـي فاعطانا ألف دينـار وكسوة فقال لـه الكميت : واللـه مـا احببتكم للدنيا ولـو اردت الدنيا لاتيت مـن هـي في يديـه ولكني أحببتكم للآخرة فاما الثياب التي اصابت اجسامكم فانا اقبلها لبركاتها واما المال فلا اقبله فرده وقبل الثياب » ولعل هذه الرواية هي الصحيحة .

وذكر المؤلف اتصال الكميت بزيد بن علي زين العابدين واعتناقه مذهبه الشيعي ومناصرته ومدحه له وعدم خروجه معه في ثورته بالنظر لتجاوزه الستين ورثاءه له حين قتل بقوله :

دعاني ابن الرسول فلـم أجبـه ... ألهفـي لهف للقلب الفـروق
حـذار منيـة لا بـد منهـا ... وهل دون المنيـة مـن طريـق

وهذان البيتان مثبتان في آخر القصائد الهاشميات .

وتحدث المؤلف عن اتصال الكميت بالامويين ومدحه للخليفة هشام وبعض الامراء حين غضب عليه خالد القسري واخذ امرا مـن الخليفة بتعذيبه وقتله لمدحه بني هاشم وهجائه بنـي امية وخلفائهم فاخـذ يستشفع ويعتذر حتى حصل على عفو الخليفة وجوائزه . واشار الـى مدح الكميت ليوسف بن عمر قاتل زيد بن علي في قوله :

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن ... كمن حصنه فيـه الرتـاج المضبب
وما خالد يستطعم المـاء فاغـرا ... بعدلك والداعي الى الموت ينصب

وكان الجنود الحاضرون يمانيين فتعصبوا لخالد وهجموا عـلى الكميت فقتلوه وعجيب من الكميت مدحه لقاتل زيد بن علي وهو على مذهبه ومن شيعته الخلصاء .

وخطأ المؤلف صاحب الاغاني بقوله عن الكميت « ومـات في سنـة ست وعشرين ومئة في خلافة مروان بن محمد » لان خلافته كانت سنـة ١٢٧ باجماع المؤرخين وهذا التصويب صحيح . ولكن وردت عبـارة للمؤلف بعد هذا التصويب فيها خطأ طباعي ظاهر وهذا نص العبـارة « فقد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا مـن جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وبايع الناس يزيد بن عبد الملك » والصواب: يزيد بن الوليد بن عبد الملك : ولقب بالناقص لانه انقص من اعطيات الناس التي زادها الوليد بن يزيد .

ثم تكلم المؤلف عن شاعرية الكميت وصدق عاطفته بمدح الهاشميين ودفاعه الحار عنهم بقصائده الهاشميات واستدل على ذلك بقوله :

بل هواي الذي أجـن وأبـدي ... لبني هاشـم فـروع الانـام
فهم شيعتي وقسمي مـن الامـ ... ـة حسبي مـن سائـر الاقسام

وبقولـه :

فما لـي الا آل أحمد شيعـة ... وما لي الا مشعب الحق مشعب
ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعـة ... ومن بعدهم لا مـن أجل وأرجب

وبالبيت الاول يستشهد النحاة عـلى نصب الاستثناء متقدما .
وقوله في قافية البيت الثاني : وأرجب : أي أهاب واعظم وماضيه : رجب : بكسر الجيم .

وبقولـه :

ساسة لا كمن يـرى رعيـة النا ... س سـواء ورعيـة الانعـام
لا كعبـد المليـك او كوليـد ... او سليمـان بعـد او كهشام

وقد جاء في البيت الاول من كتاب المؤلف خطأ طباعي على هـذا الشكل :

ساسـة لا كمـن يرعـى النا ... س سـواء ورعيـة الانعـام

وظاهر ان في الشطر الاول اضطراب بالوزن والمعنى .
وفي البيتين هجاء لخلفاء بني امية المذكورين .

وبقولـه :

فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم ... فحتام حتـام العنـاء المطـول
لهم كل عـام بدعـة يحدثونها ... أزلوا بهـا أتباعهم ثـم أوحلـوا
فيا رب هل الا بك النصر يرتجـى ... عليهم وهـل الا عليـك المعـول

ورواية الاغاني في الشطر الاخير : ويا رب هل الا عليك المول :

وبقولـه :

فقل لبني أميـة حيث حلـوا ... وان خفت المهنـد والقطيعـا
أجاع اللـه مـن أشبعتمـوه ... وأشبع مـن بجوركـم أجيعـا

وجاء في كتاب المؤلف قول الكميت :

وانـي عـلى حبهـم وتطلعـي ... الى نصرتهم أمشي الضراء واختل

وظاهر ان البيت مختل الوزن من الخطأ الطباعي وصوابه :

وانـي عـلى حبيهـم وتطلعـي ... الى نصرهم أمشي الضراء وأختل

ويروى : واني على حبي لهم : الخ والضراء بفتح الضاد المشددة وتخفيف الراء بمعنى الاستخفاء .

وقد اشاد المؤلف بخصائص الكميت العقلية والفنية ومنها حسن المناظرة والحجاج الديني والعقلي وصدق العاطفة واسلوبه الخاص في الشعر واورد من القصائد الهاشميات ابياتا تدل على تلـك الخصائص وختم الكتاب بخلاصة البحوث التي تضمنته وبمزايا الكميت الشعرية.

والحق يقال ان الكتاب جاء في غاية الاتقان والابداع ولم يتـرك شاردة او واردة تتعلق بالكميت الا ذكرها اجمالا او تفصيلا . ولا غرو فان المؤلف متوقد الذهن مشبوب الذكاء عرفت ذلك منه بمعاشرتي لـه ومطالعتي لكتبه المتعددة القيمة واني لاشكره أجزل الشكر على هديته الثمينة المفيدة .

جبلة ـ سورية ... رشاد علي أديب

•

قصة لـم تتـم

تاليف محمد عبد الحليم عبد اللـه ـ ١٨٦ صفحـة ـ الناشر مكتبـة مصر بالفجالة ـ القاهرة

هناك بعض الاعمال الادبية في تاريخ الادب لم تتم لرحيل اصحابها قبل ان يفرغوا منها ، ومع هذا ، فان هذه الاعمال الادبية لقيت اهتمامـا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا يقل عن الاهتمام الذي لقيته الاعمال التي تمت في حياتهم .

ومن هذه الاعمال الادبية « قصة لم تتم » التي صدرت في الفترة الاخيرة لاديبنا الكبير : محمد عبد الحليم عبد الله الذي وافته المنية في الثلاثين من يونيو ١٩٧٠ .

وتتصدر هذه الرواية دراسة بعنوان : « محمد عبد الحليم عبد الله روائي الدلتا » ، وهي بقلم واحد من المستشرقين الذين احبوا لغتنا وآدابنا ، وهو الاب الدومنيكي جوردان موتو ، وقد نقلها الى العربية الاديب سمير وهبي ، ويقول الدارس في بدايتها بأن في مصر مجموعة من الكتاب جعلت هذا البلد مرتعا خصبا للرواية العربية ، ومن هؤلاء : نجيب محفوظ ، ويحيى حقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، واحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعي ، وامين يوسف غراب ، ويوسف ادريس ، وهذه القائمة لا تحصر كل الاسماء ، وفيها يجد اسم محمد عبد الحليم عبد الله ، المولود في عام ١٩١٣ ، مكانا بارزا .

ونشرت هذه الدراسة في المجلد الثامن لمجلة ميديو الصادر في عام ١٩٦٦ ، ووقع اختيار الدارس على روايتي « الجنة العذراء » (١٩٦٣) و « شمس الخريف » (١٩٥٣) لتلخيص احداثهما بالتفصيل، ويعلل اختياره هذا بان الاولى تمثل احدث ما كتب من روايات ، اما الثانية ، فلانها توسع مدى رؤيته عند تقييمه لرواياته الاخرى ، وقد تناول فيها السمات البارزة لانتاج اديبنا ناظرا اليه من خلال الزوايا التالية : البطل ـ معنى الحياة ـ المرأة ـ الدين ـ المجتمع ـ الشكل الادبي . والدراسة كتبت في عام ١٩٦٥ ، وهي بطبيعة الحال لم تتناول الاعمال التي كتبها اديبنا بعد هذا التاريخ .

والى جانب هذه الدراسة القيمة هناك دراسة اخرى تتصدر الرواية كتبها الاديب والناقد يوسف الشاروني ، وتدور حول تلك الرواية التي لم تتم ودلالتها في التطور الروائي عند محمد عبد الحليم عبد الله .

وعندما نلقي نظرة سريعة على الانتاج الروائي لمحمد عبد الحليم عبد الله ، فاننا نجد انه كتب اثنتي عشرة رواية ، عدا هذه الرواية التي لم يتمها ، بالاضافة الى تسع مجموعات قصصية .

والواقع ان اديبنا لم يكف عن الابداع الفني طوال حياته الادبية التي امتدت خلال فترة تزيد عن ربع قرن ، ولسنا هنا بصدد استعراض انتاجه ، ولكن الذي يهمنا هنا هو القاء الضوء على روايته التي لم تتم .

انها الرواية الثالثة عشرة ، وقد بدأ في كتابتها قبل وفاته بوقت ليس بالطويل ، واستطاع ان يفرغ من كتابة معظمها ، فكتب سبعة فصول منها ، ولكنه مضى للقاء ربه قبل اتمامها .

ولعلنا نتساءل : ما هي فكرة هذه الرواية ؟ .. ولكي نحل علامة الاستفهام المنعقدة امام سؤالنا نبادر فنقول بان فكرتها تدور حول نضالنا العادل في مواجهة عدوان يونيو ١٩٦٧ ، فهي تعالج قضية على جانب كبير من الاهمية ، ونعني بها قضية الحرب والموت .

فالكاتب في روايته شغلته قضية الحرب والموت بكل اعماقها وابعادها ، فهو يهتم بالتاريخ ، ويرى ان الحرب تدخل في نسيج التاريخ ، ولئن كانت هناك روابط تجمعها ، الا انه لا يفزع امام تلك الرؤية ، ولا يهرب منها ، بل يواجه الواقع والحقيقة بشجاعة ، وكيف لا ، فنظام الحرب هو اقرب ما يكون الى نظام الكون كما عبر عن ذلك احد مقاتلينا . يقول : « فالحرب كنظام كلي لا يمكن ان تخلو من مآسي فردية او جماعية حتى وان كانت صورة مضبوطة لم يقع فيها الا اقل ما يمكن من الاخطاء » .

والرواية تتناول مسائل اخرى مثل التاريخ والنضال والصمود والحب من خلال ما يشغل فكر شخصياتها .

فالدكتور « امين » وهو استاذ في التاريخ يؤكد اهمية الشجاعة في مواجهة ذلك الوحش الذي يسمى الخوف . فيقول : « ان كل الذين قادوا شعوبنا الى تحقيق المعجزات كانوا لا يخافون » .

وهناك « منى المنشاوي » وهي امرأة شابة فقدت زوجها في حرب يونيو وتعمل بالصحافة .. انها ترى : « ان الموت في الحروب اقل ما يجب ان يثير احزاننا » .. هكذا كانت وجهة نظرها حين رأت في المستشفيات بعض الناس الذين فقدوا ذاكرتهم او اصابتهم عضة الحرب .

ويخاطبها « فهمي سكر » بقوله : « نحن محتاجون الى الموت في مصر . محتاجون لان نتخذه وسيلة الى غاية » .

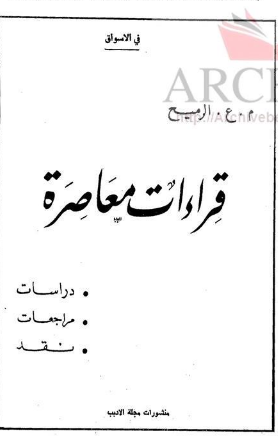
وهناك « فتحي سالم » ، وهو مكفوف البصر ولكنه كان سليم البصيرة .. يقول ان : « التاريخ الواقف هذه الايام امام سبورة الزمن يبدو كمدرس مرتبك يكتب ويمحو حتى تستقر الصورة » .

والى جانب هذه الشخصيات المحورية في الرواية ، هناك اكثر من شخصية اخرى ثانوية .

والواقع ، ان اديبنا الكبير الراحل حاول من خلال شخصيات واحداث الرواية ان يقف امام التاريخ وقفة شجاعة من اجل استخلاص النور من خلال الظلام ، فكان موفقا في تناوله لاهم قضايانا المصيرية المعاصرة .

ومن هنا ، يمكننا القول بأن الرواية هي رؤية عصرية وصادقة للواقع والحقيقة ، ذلك انها عالجت اهم قضايا الساعة بصدق ووعي وفهم ، وبلا افتعال او خطابة .

كما يمكن القول أن هذه الرواية تعد تطورا في الموضوع الروائي عند اديبنا ، واذا كان الموضوع الروائي عنده قد تطور بشكل غير ملحوظ ابتداء من رواية « لقيطة » (١٩٤٦) وما بعدها حيث عالج موضوعات



تناول فيها العلاقات العاطفية في المحل الاول ، الا انه تطور تطورا كبيرا في رواياته الاخيرة ، حيث عالج موضوعات تاريخية واجتماعية ، ففي « الباحث عن الحقيقة » (١٩٦٦) تناول حياة الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، وفي « للزمن بقية » (١٩٦٩) تناول موضوع البحث عن الحرية ، ثم نجده في روايته (١٩٧٠) هذه يتناول موضوع الحرب والموت .

والحق ، ان هذه الرواية ـ بالرغم من انها لم تكتمل ـ الا انها تعكس لنا تطور الفن الروائي عند اديبنا سواء من حيث الشكل او المضمون . وربما كان من الممكن ان تصبح هذه الرواية رائعة اعماله لولا ان القدر لم يمهله لكي يتمها .

مصر الجديدة — عبد الرحمن شلش

•

ديوان ابي دهبل الجمحي

رواية ابي عمرو الشيباني ـ تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ـ قدم له السيد زهير غازي زاهد المدرس بجامعة البصرة ـ ١٨٨ صفحة ـ مطبعة القضاء بالنجف

نشطت في الستينات حركة احياء التراث الشعري بشكل يبعث على التفاؤل بحيث اغرت كل آخذ باسباب الثقافة العربية ان يدلي دلوه. وهو امر نرجو ان تزداد العناية به على مر الايام لنتمكن من اعادة النظر في دراسة ادبنا القديم دراسة اقرب الى الكمال .

وصاحب ابي دهبل احد اولئك الذين استهواهم التحقيق فبدأ ليأخذ نصيبه منه . حقا ان العمل الذي قام به لجسيم بما استشار من مصادر (عدتها ٢٣٦) وما حقق من نصوص (بلغت ٤١٦ بيت في ٦٠ مقطوعة) وما استنتج من احكام . ولكن هذا لا يعني ان ما جاء به هو عين الحقيقة اذ ان حدودا لقابلية كل انسان لا سبيل لتجاوزها .

ومن نافلة القول ان التحقيق في النصوص الادبية ـ والشعر بخاصة ـ يحتاج الى ملكات عديدة لعلها غير مشروطة في تحقيق سائر نصوص التراث العربي من دقة تامة وامانة امينة وذوق سليم وفقه باسرار اللغة وفهم للنصوص وتفسيرها ، متى استكملها الانسان ساغ له ان يزج نفسه في هذا الميدان . ونحن لا ندري مدى استكمال صاحب ابي دهبل لمثل هذه المؤهلات ، لعل دراستنا لعمله تكشف لنا عن ذلك .

وقد رأيت ان اجمل ملاحظاتي على هذا العمل البكر اتماما للفائدة منه . وقد وضعتها على شكل نقاط خمس :

١ ـ التسمية : ان التسمية غير صحيحة : ١ ـ لما ورد في النص (٢٩) و (٣٩) و (٥٩) وقد جاءت الرواية عن موسى بن يعقوب قال : انشدني ابو دهبل قصيدته التي يقول فيها ... وهي ثمانية ابيات . فقوله (يقول فيها) توحي بانها بعض من قصيدة وليست قصيدة تامة .

ب ـ قرنه بابن ابي ربيعة وابن الرقيات (ص ٢٤) شعرا وشاعرية من جهة ، وتعليل المحقق نفسه لقصر اكثر مقطعاته التي وردت في (الديوان) من جهة اخرى دليل على ان ما بين ايدينا ليس ديوانه ، وانما هو مختارات من شعره فكان على المحقق ان يتثبت من كلمة (ديوان) في الاصل قبل تثبيتها .

٢ ـ النسبة الى الشيباني : ان النسبة الى ابي عمرو الشيباني يكتنفها الشك فكان على المحقق ان يرينا صورة لهذا المخطوط اولا ومع ذلك ـ او بعده ـ فالنسبة اليه غير صحيحة . وذلك لان نصوص (الديوان) وردت على الشكل الاتي : « حدثنا ـ والراوي هو ابو جعفر محمد بن صالح العلوي ـ محمد بن خلف عن ابي توبة عن ابي عمرو عن موسى بن يعقوب » راوية ابي دهبل في اغلب نصوص الديوان. ومفهوم (حدثنا) يعني الاخذ مشافهة ، وعلى هذا فالنسبة الى العلوي اسلم لانه هو الذي حفظ لنا سلسلة الرواية الى ابي دهبل مسندة مرة او مرفوعة اخرى .

٣ ـ التحكم في تفسير النصوص ونسبة الابيات : أ ـ في تفسير النصوص : ذكر ـ في حديثه عن ولادة ابي دهبل ـ رأيين : احدهما للمستشرق (كرنكو) بانها بعد وفاة النبي بفترة قليلة . وثانيهما : استنتجه من قول لصاحب الاغاني من انه قال الشعر في آخر خلافة الامام علي ، ثم قال (ص ١٣) « فمن هذه الاخبار والروايات التي وصلتنا نتمكن من تقدير سنة ولادته بانها كانت في اوائل العقد الثالث للهجرة » فاين هي الاخبار والروايات ؟ وكان الاجدر به ان يأخذ برأي المستشرق (كرنكو) .

ب ـ نسبة الابيات : الملاحظ على المحقق انه لا ينفي اي بيت يجده منسوبا الى ابي دهبل فاذا وجد تعارضا في الروايات استعمل سلاحا فتاكا في ميدان التحقيق دون ان يتفاوض على مسألة ويناقش فيها الرأي فيقول ـ مثلا ـ البيتان منسوبان لابي دهبل في كذا . وينسبان لفلان في كذا من المصادر .. ، ومن المؤكد انهما لابي دهبل . ولم يدلنا على هذا (المؤكد) . ولعلك تدهش حين تقرأ النص الاتي : « اختلف الرواة في نسبة هذه القصيدة ، فنسبها بعضهم الى ابي دهبل وذهب اخرون الى انها لسليمان بن قتة ، وذهب بعضهم (كذا) الى انها لابن ابي الرمح الخزاعي وقيل انها لتميم بن مرة وغيرهم (كذا) ، والمشهور انها لسليمان بن قتة ، وهذه الشهرة غير صحيحة اذ ان الكتب التي نسبت هذه القصيدة لسليمان احدها اخذ عن الاخر ومن المعروف ان سليمان .. لم يكن شاعرا وانما عرف بكونه محدثا فمن المؤكد حينئذ انها لابي دهبل » .

٤ ـ الخطأ في الاستنتاج : الاستنتاج عملية عقلية مهمة ، تحتاج الى صبر في استقراء النصوص ، ورصد اكبر عدد من الاوليات واستيحائها وحل التضارب الموجود فيما بينها ، ومن ثم الخروج بافتراض حكم عام مستوحى من حصيلة ذلك كله . والملاحظ ، ان صاحب ابي دهبل لم يوفق في رصد الاوليات ولم يستطع استكناهها ، ومن ثم كانت النتائج التي توصل اليها ثمرة غير ناضجة . فهو يعتقد بتشيعه ، واكثر من ذلك فهو المسلم الذي تبلور الاسلام في شخصيته وسلوكه . ودليله على ذلك : رثاؤه للامام الحسين . انكاره على الشامية التي دعته الى نفسها . معارضته للحكم الاموي .

وماذا بعد ذلك ؟!. في الحقيقة ليس لنا ان ننكر او نفترض تشيع المتشيعين بمثل هذا الاستنتاج . ورثاؤه للحسين لا ينهض دليلا، اذ ان حادثة الحسين هزت كل ذي ضمير ، حتى قيل : ان يزيد نفسه غضب على عبيد الله بن زياد بسبب ذلك فلا غرابة ان ينبري شاعر شهد المأساة فيصورها بمرارة ، دون ان تربطه بالمرثي رابطة عقيدة .

وحادثة المرأة ـ ان صحت ـ فهي كذلك لا تعني شيئا ، وما اكثر الذين يمتنعون عن مثلها ـ حتى يوم الناس هذا ـ لاعتبارات ليس التدين من بينها . واخيرا ، ان المتصفح (لديوانه) لا يرى للمعارضة ذكرا بل نجد الديوان قد سجل لابن الزبير وولاته ، ـ مدحا ورثاء ـ وهم من المناوئين لال علي . وحين تقول ان مدحه آل الزبير انما كان بغضا لمعاوية اقول : ما رأيك بمدحه للوليد بن يزيد ؟ الوليد وما ادراك ما الوليد ؟

فاين التزامه العقيدي يا ترى ؟ واين المفاهيم المتبلورة في شخصيته وسلوكه ؟.

٥ ـ واخيرا فان اتقان النحو واللغة امر مهم جدا ، غير ان صاحب ابي دهبل قد استعجلته السرعة ففاته غير قليل من عبارات عامية واخطاء

هي من اوليات النحو يجدها قارىء الديوان مبثوثة في صفحاته .
هذه مسائل بدت لي وانا انظر الى الجهد البكر يحتل مكانا في المكتبة العربية .

بغداد ـ الوزيرية جابر الخاقاني

•

١ ـ صهيل الرياح الخرساء

مجموعة اشعار حديثة لفايز خضور ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم متوسط ـ عن دار الاجيال في دمشق ـ صمم الغلاف الفنان نذير نبعة

بعد مجموعة الاشعار التي اصدرها الشاعر فايز خضور والتي اسماها « الظل وحارس المقبرة » (١) ، يقدم لنا هذا الشاعر الشاب مجموعة شعرية ثانية « صهيل الرياح الخرساء » وقد ضمنها القصائد التي كتبها ما بين ١٥ حزيران ١٩٦٧ وتشرين الاول ١٩٦٩ .. ففي هذه المجموعة تتوضح لنا معاناة السقوط والمحاصرة والرعب الذي الم بالشاعر على اثر الهزيمة ، فبدت عقدة « حزيران » على الاعمال الشعرية التي نسجها فايز ـ كما عند غيره من شعراء جيله وغير جيله:

« احتمي بالسقوط
بين وجهي وبيني ، ستائر
حاصرتها جبال الرياح
رعب عيني جوع ينشف نسغ الفصول .. »

وهي عقدة ليست عثرة كاداء في طريق التخطي والاستمرار والامل في متابعة الحياة ، بل هي عقدة سينطلق منها الى حيث تكون المتابعة ، ليكون الفداء في دم الآخرين الذين لا بد لهم من ان يمضموا :

« يا قطار الهناءه
شدني راية من سرايا الغبار
صبني جرعة في دم الآخرين
نخب ما تضمر الارض للعابرين
قبلما يذبل الضوء في الامسيه .. »

فالمعاناة وان كانت تبدو ذاتية الى حد ما في معالجتها للحال التي كانت راهنة وما تزال الا انها في جانب آخر توغل في ايقاظ الهمة لديه ـ اعني الشاعر ـ واعني المجتمع ـ فيصرخ في خيول الاغترابات والجنازات والذعر الذي خلف سور الحصار ان امضي على رصيف الرقاد ليخسر عن ضمير الضياء ، ظلام الركام ..

ان الشاعر كلما تمادى في قهر ذاته ، وحملها من اللوم فانما يفعل ذلك على أمل خلق دنيا جديدة متوثبة ، حضارية رافضة لكل الترسبات الباقية في قصر الذات المتخلفة .. وفايز من أولئك الذين قهروا وتعذبوا في سبيل الكلمة الحرون الصافية ، في سبيل نسج عالم يهدف الى ازاحة الصقيع عن المناكب ، وما الرياح لديه الا تلك المناكب التي يرغب ان لا تكون صامتة خرساء يعلوها الصدأ وتمتطيها الاجنحة الهيضة والمتخاذلة ..

وفي المجموعة الشعرية هذه ترون قصيدة من الشعر الحر الحديث .. تكتنفها الامنيات والجراحات والتشفي ، وتعلوها المرارة ، وهي ايضا عروض حالات مواطن من الدرجة الثالثة ، فيها العتاب والحلم والغفلة والضياع ، ومع ذلك فالشاعر يبحث عن عبارات صماء لعله منها يصل ، فهو سائح ، لعله ايضا يكتشف نزهة الاشياء في لغته المحفورة باحرف البقاء ... هذا ، والباحث في صميمية القضايا التي يطرحها فايز خضور ، فانه سيعبر الكثير من الشعاب المتفاوتة والمتزاحمة ، كي يكشف عن ماهيته التي يلفها شيء من التعتيم وشيء من المترادفات

والكثير من التاريخية القابعة في خلايا الزمن ـ رصيف الزمان الغرابي ، يا حصاد التغاضي عن القتل خوف افتضاح الخسار ، هاجر الوعي فرارا في شرايين الوقار ، نخمش وجه التراث ـ محال ـ نقيم على واحة الاولين الوليمة ، وعطفنا على أمركم ذي القـرار المؤرخ قبل الوقيعة ... الخ .

الا ان فايز دائما يهيب بقومه ، ولا يتركه هكذا شلوا ، بل هو يحاول ان يسكب في عروقه الامل ، فهو متفائل الى حد :

« أيها السارون في الجمر ، أعيدوا وجه أرضي
قبلكم مرت خيول الريح وارتدت كسيره
جبهة الصوان ميراثي وميراث الملايين الفقيره ..
كل طفل في بلادي حمل الثار قضيه »

ويطلب من بلاده أن تحمل تراثها وتمجده ، وتقدسه ، وتجعل منه انطلاقة مستمرة الى الآتي المنتصر المتحضر :

« بـلادي ،
أعيدي لخزي اليهود نبي الصحارى « محمد »
أعيدي لهم بختنصر
لمجدك نحيا ، لكمشة رمل بسينا
لورقة حور بدمر .. لارزه
لليمونة في الجليل ويافا وغزه .. »

ان فايز الشاعر كما يظهر لنا من خلال شعره ، بدوي ، صارم ، ولكنه طيب السريرة ، غائم ، ولكنه ينذر بالمطر ، شامل ولكنه يدقق، فهو قد قرأ على ما يبدو الكثير من حوادث التاريخ بحيث نجد في شعره الحديث عددا متراكما من الاسماء والحوادث ، كذلك مال الى الغرب

طالعوا مجلة

البيان

تصدرها في مطلع كل شهر

رابطة الادباء في الكويت

•

تطلب في بيروت من مكتبة الروكسي
اول طريق الشام ـ بناية روكسي

في دمشق : المكتبة العباسية
شارع سعد الله الجابري

في القاهرة : مكتبة عمار
شارع الجمهورية ـ امام مسرح الجمهورية

ونهل من مشاكل أبطاله الادبية ، فهو - أي فايز - يمر علـى جملة شخصيات يستلهم منهم مادته ، ويذكر بعض المواقع في بلاده يتمثل مناخاتها في سبك شعري جميل ..

٢ ـ عندما يهاجر السنونو

مجموعة شعرية حديثة لفايز خضور - ١٠٢ صفحة من الحجم المتوسط - عن اتحاد الكتاب العرب في سورية - صمم الغلاف محمود السيد

.. وهذه هي المجموعة الثالثة لفايز خضور ، صدرت هذا العام ١٩٧٢ والثانية « صهيل الرياح الخرساء » صدرت عام ١٩٧٠ ، وعندما نفتح المجموعة تطالعنا جملة كتبها الشاعر فايز تقول « هـذه الاشياء، كلمات قديمة للارض والحب والتعاسة ، تكاد تكون خاصة ، منسية منـذ الفترة الواقعة ما بين شباط ١٩٦٥ - وكانون الاول ١٩٦٨ - » اذن ، فالشاعر أرجأ هذه الكلمات ، ولم يدرجها في مجموعته الثانية « صهيل الرياح الخرساء » عام ١٩٧٠ ، لماذا ؟ لا ندري ومعنى ذلك ان اي تقييم لموضوعات « عندما يهاجر السنونو » قد لا يخرج عن روحية وافكـار « صهيل الرياح الخرساء » ولا ادري ان كان فايز قد أهمل ذلك لغاية ما .. او انه لم يكن راض عنها عندما هم واخرج لنا « صهيل الرياح الخرساء » أم ان العكس .. ذلك لانني اعتبر - وكذلك النقاد معي - انه عندما يخرج الشاعر او الاديب كتابا ما ، يضع في حسابه ، مـدى تطور عمله فيه ، بمعنى ، انه هل تخطى مرحلة .؟ هل ابـدع اكثـر ، أم لا ..؟! فاذا كان قد تقدم ، او تخطى الـى الافضل واحسن ، وجب تقييم اثره الجديد . ولا أخال ذلك في المجموعة الثالثة « عندما يهاجر السنونو » سوى ما وضعه فايز خضور فيها من مشهدين لمسرحية نثرية بعنوان « لا قبر للشهداء » هذه المسرحية التي بدأت في الصفحة (٦٥) وانتهت في الصفحة (١٠٢) آخر الكتاب ، نقول : المسرحية هذه عبارة عن مشهدين في مقبرة ضخمة ، ذات ليلة من ليالي الحرب ، شخوص المشهد الاول : قتيل ، ناطور المقبرة ، فتاة ، اثنان من حراس الليل، جوقة .. وشخوص المشهد الثاني : حارس ليلي ، قتيل ، محضر في محكمة ، متهمة اولى ، متهمة ثانية ، عجوز ، شحاذ ، قاض ... وقد قسم فايز كل مشهد الى لحظات ، في هذه المسرحية حوارات موفقـة بين الشخوص تدور حول استقبالات موتى وقتلى يرغبون بالدفـن .. ولكن يبدو ان باقي اشخاص المسرحية يعارضون الموتى .. فيضطـر (القتيل او الميت) ان يبحث عن مقبرة ثانية .. وظل العتم ، يوهما الشمس لم تشرق ابدا .. فالمسرحية هـذه تحتاج حقا الى دراسة منفردة وتقييم خاص يضيق المجال به الان ، الا انني لا انكـر قـوة المسرحية من ناحية طرحها لمشكلة الحرية والاضطهاد والاتهامات الباطلة والدجل ..

وبعد : ان الشاعر فايز خضور يعطينا في كل مرة شعرا ممتـازا وادبا جميلا يمتاز بالقوة والتجديد ، في افكار حديثـة ترغمنا علـى التأمل والبحث والاستقصاء ..

١ - راجع مجلة الاديب عام ١٩٦٦ (الجزءان ٤ و٨) .

دمشق — اسماعيل عامود

•

حكايات من وادي الفرات

تأليف عبد القادر عياش - ٥٦ صفحة - مطابع الف باء الاديب - دمشق

حديثنا في هذه السطور عن هذا الكتيب ، وهـو الحلقـة التاسعة والعشرون في سلسلة تحقيقات فولكلورية عـن الفرات ، والكتـاب السادس عشر بعد المئة للمؤلف ... بلى احب ان اتحدث قليلا عـن المؤلف وكتيبه الطريف هذا !

اما المؤلف فقل من يجهله في العالم العربي ، بعد ان وقف جهده، ونذر ماله ووقته لخدمة منطقته الفرات ، وانصرف بكل ما يملك مـن نفس ونفيس الى التنقيب عن العادات والتقاليد الشعبية في الفرات ، فلم يترك بابا الا طرقه ، ولا سبيـلا الا سلكه ، ولا موضوعـا الا عالجه ، حتى بات ما كتبه والفه موسوعة تخلد منطقة الفرات وديـر الزور عامة ... كل ذلك فعله الصديق عبـد القادر عياش ، دون ان يطلب من احد او جهة او دولة جزاء ولا شكورا .

لكم اغبط الفرات والدير يا اخي عبد القادر ...

ولكم تمنيت ان يبعث الله في كل مدينة سورية وعربية عبد القادر مثلك ، يخدمها كما خدمت ، ويسهر من اجلها كما سهرت .

اما الكتيب الذي نحن بصدد الحديث عنه ، فيتناول فيه الاستاذ المؤلف مجموعة من الاقاصيص والحكايات الفراتية الشعبية ... انهـا حكايات طريفة ممتعة ، جمعها - كما يقول - بعد ان سمعها بنفسه في دير الزور ، والحق ان احدا لم يتصد لجمع شيء من هذه الحكايات ... وقد وفرت له احالته على التقاعد كمحام ناجح ، الوقت الكافي لجمع هذه الحكايات ، ولو امكنه التفرغ - كما يؤكد - سنة واحـدة لقصص الفرات وحكاياته الشعبية ، لامكنه ان يسجل الف حكاية مـن الحكايا المروية ، وهي لا تكون رغم هذا الا غيضا من فيض .

ان الحكايات التي سجلها المؤلف في كتيبه هذا ، غاية في الطرافة، وحبذا لو امكنه في المستقبل ان يتفرغ لجمع عدد آخر منها ...

دمشق — عبد الغني العطري

ثلاثة مكعبات

شعر

هدى اديب

توزيع دار الكتاب اللبناني

ص. ب ٣١٧٦ - بيروت

تلفون ٢٨٣١٢٨ - ٢٨٨٧٩٢ - ٢٨١١٩٢

الثمن ٣٠٠ ق. ل. او ما يعادلها